

دكتور
الشحات السيد زغلول
معلمة الآداب - جامعة الإسكندرية

السيرة والحضارة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداءات ٢٠٠٢

أد/ مصطفى الساوي الجويني

الاستاذية

السيرة والحضارة الإسلامية

دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٧٥



الهيئة القومية للإبادة للكتاب
مصر - الإسكندرية

مقدمة

في هذه الفترة من حياة أمتنا العربية ، إستشعر مسئوليتنا نحن الدارسين في أن نسلط الأضواء على علومنا وآدابنا لتكشف حقائقها ، وتوضح معالمها .

وحضارتنا العربية تحتاج منا إلى مزيد من البحث والدراسة لنقف بأنفسنا على أصولها ومصادرها الأولى ، وتبين السبل التي سلكتها لكي تصل إلينا ، وتعرف على هؤلاء الذين حملوها حتى أخذناها عنهم ، ثم نقوم بعد ذلك دورنا في تنمية تلك الأصول ، ونوضح الجديد الذي أضفناه لها ، ونرصد العناية الفائقة بكل ما من شأنه أن يرقى بالعقل البشري .

يقول ماكس فانتاجو في مقدمته لكتابه « المعجزة العربية » ، فتقديري أن من يستقل مركبا لسفر الحياة دون أن يدرس ، بل دون أن تكون بين يديه مخططات كاملة لتاريخ حضارتنا هو من حسدائة العهد بحيث يكون كالسافر الذي يرحل دون خوارط في سفرة طويلة (١) .

وهذا البحث هو شمعة على الطريق ، أضفها وكلى أمل أن تمكث الشموع إلى جوارها لتظهر في ضوتها حضارتنا في ماضيها ، فعز بها عزتنا بما نلسه اليوم بأنفسنا .

يقول جرجي زيدان « إن تاريخ الأمة الحقيقي هو تاريخ تمدنها وحضارتها » (٢) وقد كالت هذه الدراسة استجابة لتداعيات طالما رددتها الباحثون من ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من حضارتنا .

(١) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ١٠

(٢) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ المقدمة

ويقول دى بور ، إن قُبِعَ دخول اليونان في مدينة الشرق الكثيرة العناصر هو من الناحية التاريخية جدير أن يشوق الباحثين ، ولاسيما إذا قاسينا الفلسفة اليونانية ، ولم ننق في مقارنة الفلسفة الإسلامية بها ، ولهذا البحث شأن عظيم ، إذ أنه يتيح لنا فرصة مقارنة المدنية الإسلامية بغيرها من المدنيات ، (١) .

ويقول ماكس مايرهوف ، إن العصر الذي انتقلت فيه العلوم اليونانية إلى العرب عصر غامض ، ويمتدح معا ، (٢) .

ويقول الدكتور تمام حسان ، إننا مع الأسف نلاحظ في المكتبة العربية فقرا واضحا في الكتب التي تدور حول اكتساب العرب ثقافة الشعوب المجاورة من ناحية ، وحول أثر ثقافة هذه الشعوب في دراساتهم اللغوية والدينية ، (٣) .

ولقد كان السريان هم حلقة الاتصال بين العلم الإغريقي والإسلام ، لذلك ليس غريبا أن يكون لهم دور كبير في تغذية الحضارة الإسلامية بكل ما كان من شأنه أن يكفل لها النمو والازدهار . وهذا ما فصله البحث في صنفاته . وقد قسمته إلى خمسة أبواب :

الباب الأول : أوليات الحضارة في الهلال الخصيب .

وقد قسمته إلى فصلين :

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٤

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٣٧

(٣) الدكتور تمام حسان : مقدمة كتاب مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب تأليف أوليري

الفصل الأول : تكلمت فيه عن البيئات التي عاش فيها الآراميون ،
والحضارات التي توالت فيها وتأثرهم بها ، ثم العوامل التي أدت إلى
انحدار حضارتهم .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن السريان ، وعرضت للأسباب التي
من أجلها سموا باسمهم هذا ، ثم بينت مدى فهم مؤرخي العرب القدماء
لهذه التسمية .

الباب الثاني : المراكز الثقافية في الشرق القديم .

تحدثت فيه عن الإسكندرية ، وحران . وجنديساپور ، والزها ،
ونصيبين ، وبينت النشاط الثقافي الذي قام في كل منها ، والعوامل التي
أعطت عليه ، ثم درست اتصالها بالمسلمين ، والنتائج التي ترتبت على
هذا الاتصال ، وأوضحت الدور الذي قامت به في خدمة الحضارة
العربية ، ومدى تأثيرها فيها ، والأفكار التي انتقلت منها .

الباب الثالث : جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام .

وقد عرضت في هذا الباب لعدم اهتمام العرب بتاريخهم في
الجاهلية ، والأسباب التي أدت إلى ذلك ، وما ترتب على هذا المسلك
من نتائج ، ثم بينت أثر السريان في الجانب الحضاري من الحياة
العربية قبل الإسلام وبخاصة في دولة الأنباط ، وتدمر ، وإمارة
الغساسنة ، والحيرة .

وفي هذا النطاق عنيت بانتقال الأفكار الهلينية إلى العرب ، والدور
الذي قام به اليعاقبة والنساطرة في هذا السبيل ، وذكرت ما أقاده
العرب من هؤلاء في هذه الفترة من تاريخهم ، فأشرت إلى العناصر

الحضارية التي دخلت البيئة العربية عندئذ ، وبينت دور المسيحية في تحويل أفكار العرب من الوثنية إلى أفكار أسمى ، كما أوضحت النزعات المسيحية التي بدت عند بعض شعراء العصر الجاهلي ، ورددت بعد ذلك على من ذهب إلى أن قواعد الإسلام تقوم على أصول مختلفة من الأديان التي انتشرت قبله ، وذكرت أن الديانات السماوية في مجموعها إنما تمثل المنهج الديني المتكامل الذي أخذ الله به عباده ليصل بهم إلى أعلى درجات الإيمان .

الباب الرابع : نشاط السريان في ظل الأمويين .

وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الإسلامية . وقد ذكرت فيه استعانة الأمويين بأهل الثقافات الأجنبية في بناء دولتهم لرغبتهم في أن يستكملوا لها كل مقوماتها ، ثم أشرت إلى أن النشاط الثقافي الذي قام به الفسطاط في كل من جنديسابور والحيرة كان له دوره في قيام مثيل له في كل من البصرة والكوفة بعد ذلك .

وهنا كان لزاما على أن أذكر العوامل القومية والدينية التي أدت إلى هذا النشاط اللغوي ، فقد كانت الهوة التي تفصل بين اللغة القرآن ولغة الكلام اليومية تزداد اتساعا ، كما أن رغبة الموالى في إجادة اللغة العربية ليصلوا بذلك إلى المراكز العالية في الدولة كان لها دورها في إقبالهم على دراستها ، كذلك كان النظر في القرآن والحديث يستوجب الإهتمام بالعلوم العربية لأنه متوقف عليها .

وقد بينت الآثار الأجنبية في هذه الدراسات اللغوية ، فقد وضعت القواعد العربية على نمط القواعد السريانية ؛ وكان قياس مدرسة جنديسابور في فارس له تأثيره على النحاة العرب . وقد عدت بعد ذلك لبيان بقية الأسباب التي مهدت لقياس السريان بدورهم ، فأشرت إلى تسامح الإسلام مع أهل الأديان الأخرى ، وذكرت انتقال الخلافة من الحجاز إلى سوريا وتأثير هذا الانتقال في مساهمة المسيحيين في بناء الدولة الإسلامية ، كذلك ذكرت أن الإسلام لم يوقف سير الحياة العقلية في البلاد التي فتحها ، ولقد تمثل ذلك بصورة متميزة في المجتمعين النسطوري واليعقوبي ، فضاغف هؤلاء من نشاطهم في خدمة الثقافة والمعرفة بما ساعد على نقل العلوم اليونانية واتصالها بالفكر العربي .

الفصل الثاني : حركة النقل وجهود السريان فيها .

وفي هذا الفصل ذكرت أن الرغبة في المحافظة على العقيدة أدت إلى عدم الاشتغال بالفلسفة في العصر الأموي ، وقد فصلت الحديث بعد ذلك عن شخصية خالد بن يزيد ودوره في النقل ، وتأثره بالسريان في دراساته ، وبينت أن اشتغال السريان بالترجمة منذ صدر الإسلام لم يكن من مصادقات العصر ، وإنما كان امتداداً طبيعياً لما قاموا به قبل ذلك في المراكز الثقافية التي سبق الكلام عنها ، وقد ختمت هذا الفصل بالحديث عن النقلة في العهد الأموي وذكرت مشاهيرهم .

الفصل الثالث : موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة .

وقد بينت فيه أن المسلمين كان ذهنهم منفتحاً فتقبلوا الثقافات الأجنبية ،

الفصل الأول : تكلمت فيه عن البيئات التي عاش فيها الآراميون ،
والحضارات التي توالى فيها وتأثرهم بها ، ثم العوامل التي أدت إلى
انحدار حضارتهم .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن السريان ، وعرضت للأسباب التي
من أجلها سموا باسمهم هذا ، ثم بينت مدى فهم مؤرخي العرب القدماء
لهذه التسمية .

الباب الثاني : المراكز الثقافية في الشرق القديم .

تحدثت فيه عن الإسكندرية ، وحران . وجنديساپور ، والزها ،
ونصيبين ، وبينت النشاط الثقافي الذي قام في كل منها ، والعوامل التي
أعطت عليه ، ثم درست اتصالها بالمسلمين ، والنتائج التي ترتبت على
هذا الاتصال ، وأوضحت الدور الذي قامت به في خدمة الحضارة
العربية ، ومدى تأثيرها فيها ، والأفكار التي انتقلت منها .

الباب الثالث : جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام .

وقد عرضت في هذا الباب لعدم اهتمام العرب بتاريخهم في
الجاهلية ، والأسباب التي أدت إلى ذلك ، وما ترتب على هذا المسلك
من نتائج ، ثم بينت أثر السريان في الجانب الحضاري من الحياة
العربية قبل الإسلام وبخاصة في دولة الأنباط ، وتدمر ، وإمارة
الغساسنة ، والحيرة .

وفي هذا النطاق عنيت بانتقال الأفكار الهلينية إلى العرب ، والدور
الذي قام به اليعاقبة والنساطرة في هذا السبيل ، وذكرت ما أقاده
العرب من هؤلاء في هذه الفترة من تاريخهم ، فأشرت إلى العناصر

الرجوع إلى الأصول اليونانية كان أسبق في الرياضة والفلك لما فيها من مصطلحات رياضية ، ثم عرضت للطرق التي كان يتبعها المترجمون وتحديث بمد ذلك عن عجز السريان عن فهم الثقافة اليونانية أحيانا وقصور بعضهم في الترجمة بما دعا إلى معاودة نقل ما ترجموه مرة أخرى . وقد حمل هذا على الشاك في قيمة الكتب المترجمة فظهر من ينادى بما يجب أن يكون عليه المترجمون حتى يستطيعوا أن يقوموا بترجمة تؤدي حقائق الأصل ومرامييه .

وقد أنهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها .

رسالة الأولى

أوليات الحضارة في أملاك الخصيب

الفصل الثالث

بيثة الآراميين وحضارتهم

عاش الآراميون في منطقة متزامية الاطراف من آسيا ، وقد كان برستد أول من أطلق على هذه المنطقة اسم الهلال الخصيب ، وعل ذلك بأنها د تكون شكلا نصف دائري على وجه التقريب يرتكز طرفه الغربي في جنوب شرق البحر الابيض المتوسط ، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب ، ويرتكز طرفه الآخر عند الخليج الفارسي ، ويخلف ظهر هذا تقوم الجبال المرتفعة ، وبذلك تقع فلسطين عند نهاية الجزء الغربي ، وبلاد بابل في الجزء الشرقي ، بينما تكون بلاد آشور جزءا كبيرا من وسطه ، (١) . وقد تداول الباحثون هذه التسمية مشين عليها فذكر سارتون د أنه اسم يليق كل اللياقة . (٢)

وقد وجدت في المنطقة التي ذكرناها عدة حضارات قبل أن يسود فيها الآراميون ، بل قبل أن يستوطنها الجنس السامي . فقبل عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريبا ازدهرت حضارة في سهل شنغار على يد السومريين وهم د قوم غير سامي الاصل ، (٣) .

(١) برستد : انتصار الحضارة ص ١٥١ .

(٢) تاريخ العلم : الفصل الثالث ترجمة الدكتور طه الباق ص ١٤٣ ،

(٣) برستد انتصار الحضارة ص ١٥٨ ، وانظر الدكتور فيليب حني : تاريخ

سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٠٠ ص ١٤٩ وانظر ديلاپورت : بلاد ما بين

النهرين ص ١٨ .

وقد قادم نشاطهم التجارى إلى استعمال اللغة السومرية وهي لغة وليست سامية ولا آرية ، (١) كانت تكتب بآلة تشبه المسبار يضغط بها على الطين الذى يصنع على صورة ألواح فتتوك أثرها فيه ، ثم يجفف الطين ويحمر حتى يظل متماسكا مما جعل هذه الكتابة تعرف بالكتابة المسبارية (٢) .

ولقد تركز النشاط الثقافى على عهد السومريين فى المدن ، وكان المعبد فى المدينة هو نواة حضارتها والمركز الرئيسى فيها ، (٣) . ولعل مما يدل على هذا تلك المدونات التى عثر عليها فى كثير من الحفريات بين أنقاض هذه المعابد . وتعتبر الحضارة السومرية أساسا لعدة حضارات آسيوية ، ولقد ظل العامل السوميرى هو العنصر الأساسى لثقافة ما بين النهرين ، (٤) .

وعند الألف الثالث قبل الميلاد أو حوالى منتصفه ، شرعت جماعات من شعوب الجزيرة العربية تندفع نحو الشمال فى فترات من القحط بالغة

(١) سارتون : تاريخ العلم : الفصل الثالث ترجمة الدكتور طه الباقى ص ١٤٦ .

(٢) يراجع هـ.ج. ويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد

ص ٦١ .

أقرن ذلك بقول ول ديورانت وناقشوا على الطين ما يريدون نقشه بمن آلة

عادة كالإسفين ، قصة الحضارة ص ٣٤ .

(٣) برستد : انحصار الحضارة ص ١٦٤ .

(٤) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى

ص ٦٧ انظر ول ديورانت : قصة الحضارة ص ٣٢ .

الخطورة ، (١) ونزلت بمنطقة الهلال الخصيب ، وعاش فريق منها جنبا إلى جنب مع السومريين في منطقة ما بين النهرين ثم لم يلبثوا حوالى سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد (٢) أن قفلوا بزعامه سرجون الأول على دويلات المدن ، وأن يؤسسوا دولة موحدة قوية شملت معظم أرض وادى الرافدين ، وأن يتخذوا أكد عاصمة لها .

ولم يكن هؤلاء الساميون قد تحضروا بعد فأخذوا عن السومريين بعض معارفهم ، وهكذا ظب السومريون قاهريهم ، (٣) . ولقد اقتبس الاكديون ، الكتابة المسمارية عن السومريين ليكتبوا بها لغتهم السامية ، وكانت هذه هي المرة الأولى التى كتبت فيها لغة سامية ، (٤) . ولم تكن الأصوات السامية لتطابق أصوات اللغة السومرية ولذلك استغنى عن بعض الأصوات فيها ، كما اقتبس كثير من الكلمات السومرية التى أضيفت إلى مثيلاتها فى المعنى فى اللغة السامية ، وقد أدى هذا إلى أن شوهت لغة الساميين بعد أن امتزجت بعناصر كثيرة من لغة

(١) بروكلمان : العرب والامبراطورية العربية ص ١٣ .

(٢) هـ.ج. ويلز : موجز تاريخ العالم ص ٦٦ .

أقرن ذلك بالتاريخ الذى ذكره سارقتون (٢٦٣٧ - ٢٤٨٢ ق.م) تاريخ العالم ص ٢٢٤ وأقرنه بالتاريخ الذى ذكره فيليب حتى (٢٢٥٠ ق.م) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٣) جورج سارقتون : تاريخ العلم الفصل الثالث : ترجمة الدكتور طه الباقر

ص ١٤٨ .

(٤) بريستد : انتصار الحضارة ص ١٧٨ .

روانظر إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٣٢ ، ص ٣٤ .

المقهورين ، (١) . ومعظم اللوحات المسجارية التي كشفت حتى الآن مكتوبة باللغة الأكادية التي تسمى عادة البابلية (٢) . ثم ظهرت أمة جديدة عرفت باسم سومر وأكد ، وحققت ما عرف بالحضارة البابلية .

وفي حوالي القرن الحادى والعشرين ق.م. غزا الآموريون بلاد أكد وهم من جزيرة العرب أصلا ، ويستدل من اسمهم على أنهم أقاموا في «أمور» وهي منطقة من سوريا العليا كانت بين لبنان والفرات ، (٣) . ويرى بعض المؤرخين أن اسمهم مشتق من «أمورو» ومعناه أهل الغرب ، وهذا الاسم هو الذى يطلق على «أهل غربى الفرات من بندو وحضر إلى البحر المتوسط» (٤) .

وفي عهد الآموريين اكتسبت ماصتهم بابل شهرة عظيمة ، وغلب اسمها على سهل شتعار القديم فسمى منذئذ باسم بلاد بابل (٥) .

(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٣ وانظر ص ٣٩ من نفس المرجع .

(٢) انظر ر.د. جيبلى : كشوف ومناظرات . مقال بمجلة ديوجين أو مصباح الفكر العدد ١ ص ٨٩ .

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص ٧٠ .

(٤) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٤٣

انظر سارقون : تاريخ العلم : الفصل الثالث من ص ١٤٨ إلى ص ١٨٥

وانظر فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٧٠ .

(٥) انظر برستد : انتشار الحضارة ص ١٨٦ واقرن هذا بما ذكره المسعودى

فى مروج الذهب ص ١٣ ص ٣١٣

والمعروف أن هؤلاء الاموريين حين خرجوا من شبه جزيرة العرب نزلوا فترة من الزمن بالشام ومنها أغاروا على منطقة بلاد الرافدين ، وكونوا بها دولة كان أشهر ملوكها حمورابي حوالى (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق.م) (١) . وقد اتخذت من بابل عاصمة لها ، ولكنها لم تستطع أن تبسط سلطانها على أرض العراق كلها إلا فى زمن هذا العاهل العظيم . وقد استعمل حمورابي اللغة السومرية فى رسائله إلى ولائه (٢) ولكنه استعمل اللغة البابلية فى قوانينه التى تدل على أن الحضارة البابلية وقبل كل شىء كانت حضارة تشريعية . (٣)

ويتلخص قانون حمورابي فيما يلى : (٤)

-
- == (يظهر أن مدينة بابل لم تؤسس إلا حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م) من تعليق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلاسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٢٦ .
- (١) هناك اختلاف فى تاريخ حكم حمورابي فالتاريخ الذى أثبتناه ذكره سارتون فى تاريخ العلم ص ١٤٨ . ويلز يجعل حكم حمورابي ٢١٠٠ ق.م تاريخ العالم ص .
- أدى شيرى يجعله سنة ٢٢٣٢ ق.م تاريخ كلدوآثور ص ١٠٣ . ويرستد يجعله سنة ١٩٤٨ ق.م : انتصار الحضارة ص ١٨٧ . وفيليب حتى يجعله حوالى سنة ١٧٠٠ ق.م تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٧٢
- (٢) يرستد : انتصار الحضارة ص ١٨٨
- انظر سارتون : تاريخ العلم ص ١٤٨ — ص ١٥٢
- (٣) من تعليق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلاسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٢٧ .
- (٤) راجع سارتون : تاريخ العلم ص ١٩٤ وانظر أدنى شيرى : تاريخ كلدوآثور ص ١٨ .

- ١ - مقدمة : من قسمين الاول ديني والثاني سياسى .
- ٢ - القوانين : ٢٨٢ مادة
 - أ - الإجراءات القضائية : مادة ١-٥
 - ب - الاعتداء على الممتلكات بما فى ذلك الأولاد والمبيد :
مادة : ٦-٢٥
 - ج - قوانين العمل المدنى والعسكرى وواجبات الأجراء والموظفين
والزراع مادة ٢٦ - ٤٤
 - د - التعويضات والفرامات والأجور والديون ٤٥-٦٦ . . .
 - هـ - العقود فى البيع والإيجارات والاستخدام وبقية قوانين الدين
والوديعة مادة ٧١ - ١٢٦ .
 - و - الأسرة والزواج والتمسرى والطلاق والتبني مادة ١٢٧ - ١٩٥ .
 - ز - القانون الجنائى : العين والسن والجراحات والإجهاض وجرائم
الإهمال مادة ١٩٦ - ٢٦٧ .
 - ح - الاسعار والأجور وتحديدما مادة ٢٦٨ - ٢٨٢
- ٣ - الخاتمة : سياسية ودينية .

والقارىء لهذا القانون يستطيع أن يتبين مدى النظرة الشاملة التى
عالج بها حورابى أمور رعيته ، هذا فضلا عما نلاحظه من عمق هذه
العقليات القانونية التى حملت علما مثل سارتون على أن يقرر أن الصفات
التى نُسبها للرومان بسبب جهودهم الفقهية القانونية سبق للبابليين أن
أسهموا فيها قبلهم بنحو ألبى عام ، وبوجه خاص سبق للبابليين أن تعبورا

سلسلة من الافتراضات التي لا يمكن للفوائين أن تصدر بدونها ، (١) كذلك فإن شريعة حمورابي تمثل لنا عقلية بابل وشومر من ناحية ، وتدل على ما كانت عليه بابل من العظمة واتساع التفكير في المعضلات الاجتماعية والدينية ، (٢) .

ثم تغلب الكاسيون (٣) الذين أتوا من شرق دجلة ، وأقاموا فترة بالبلاد على بابل حوالي سنة ١٧٦١ ق م ، وظلوا فيها قرابة خمسة قرون تارة سادة وتارة مسودين ، وكانت بينهم وبين فراعنة مصر مراسلات ودية ومصاهرات كشف عنها ما ورد في رسائل قل الهارثة في عهد فرعون مصر إخناتون ، وكانت بينهم وبين الأشوريين حروب على الحدود بين مملكتيها ، ثم ضعف أمرهم ، وسارت القلبة للأشوريين ، وبذلك انتقل مركز الحضارة إلى بلاد آشور .

وبما لا شك فيه أن الحضارة الآشورية قد استفادت من حضارة السومريين والبابليين ، فقد ثبت أن الآشوريين أدركوا القيمة العلمية للنصوص السومرية لجمعوا ألواحها وترجموها إلى الآشورية ، (٤) . وقد

(١) جورج سارتون : تاريخ العلم ص ١٩٥ .

(٢) إسرائيل ولفسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٦ .

(٣) الكاسيون شعب من المحتمل جدا أن يكون من عنصر آري كان على ما يظهر ينتسب إلى المينانيين (ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ٥٠) راجع من ص ٥١ إلى ص ٥٥ من نفس المرجع .

(٤) جورج سارتون : تاريخ العلم : الفصل السادس : المرحلة الآشورية :

ترجمة الدكتور رشاد الناظوري ص ٢٢٩ .

تعرضت الدولة الآشورية لغزو الآراميين إلا أنها ردتهم على أعقابهم ،
وقضت على دمشق عاصمتهم حوالي عام ٧٣٢ ق.م .

وقد بلغ الآشوريون أوج عظمتهم في عهد سنحاريب
(٧٠٥/٦٨١ ق.م) الذي اتخذ نينوى عاصمة له . ومن عرف بمحبته للعلوم
من الآشوريين آشور بانيبال فقد استجلب من مكتبات بابل وغيرها
من المدن البابلية كل ما وجدته من الكتب القديمة في آداب البابليين
وعلومهم وصناعاتهم وقواريفهم ودياناتهم ، واستنسخها كلها ، (١) كذلك
أنشأ مكتبة في نينوى جمع فيها كثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية .
ويرى بول ماسون أن الآشوريين لم يضيفوا شيئا إلى الحضارة
البابلية لكنهم تأثروا بها ، لقد تلقوها بقبول ، وحفظوا شواهدا في
حولياتهم ومكتباتهم ، ونشروا حدودها حتى الحدود الإغريقية
المصرية ، (٢) .

وحوالي سنة ٦١٢ ق.م استولى الكلدانيون على سورية - وهم
فرع (٣) من الآراميين تغفل إلى وادي الفرات الأسفل عرف باسم كلدو

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآشور - ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ .

(٣) بول ماسون أورنييل : الفلسفة في الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص ٨١ .

(٤) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم - ص ٢٧

— انظر فيليب حني و ويرجح أنهم (الكلدانيون) أفراد موجة متأخرة كان
لها بعض العلاقة بالآراميين . تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٢٣٨ .
وانظر ص ١٧٥ من نفس المرجع .

— ويعلق الدكتور براد كامل على كتاب (الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان

منذ حوالي القرن ١٤ ق.م . ولقد تحققت لهم أعظم انتصاراتهم في عهد نبوخذ نصر (٦٠٤ ق م) إذ فتح أورشليم (١) ٥٨٦ ق.م ، وأخذ خير ما فيها ونقله إلى بابل . ولقد كان السكديون بحكم الظروف ورثة لتقاليد آشور ومعارفها ، ما دفع الحياة العلمية إلى الازدهار في عهدهم . فقد مروا (٢) في العلوم الرياضية والإلهية ، كما كانت لهم عناية برصد الكواكب ومعرفة بطوائج النجوم . .

ثم استولى قورش الفارسي على بابل سنة ٥٣٨ ق.م . ثم جاء من بعده الإسكندر ففتح بابل سنة ٣٣٢ ق.م وكان من جراء (٣) الفتح المقدوني أن تم اصطباغ المنطقة بالهلينية قبل أن تتأثر بالغزو الروماني .

ص ٢٧ فيقول وقد استطاع الآراميون في إحدى غاراتهم أن يكونوا إمارتين بابل والخليج الفارسي عرفت باسم كلد ومنها اشتق اسم السكديين . .
— ولقد وردت نفس العبارة السابقة في كتاب « تاريخ الأدب السرياني » ص ٤ الدكتور مراد كامل

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ١٣ ص ١٤٢

— انظر فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٥٥ ، ص ٢٢٨

(٢) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٢٠ ط محمد مطر .

— انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٢٩

وانظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٢٣

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة في الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى

الآراميون

الآراميون شعب سامي خرج من شبه جزيرة العرب ، في فترات من القحط بالغة الخطورة (١) ثم اندفع نحو الشمال وهبط سوريا وفلسطين ، واستقر فيها حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م . غير أنهم لم يسكتسبوا اسمهم « الآراميين » حتى أيام تغلات فلاسر الأول نحو ١١٠٠ ق.م ، حين أقاموا في منطقة الفرات الأوسط حتى سورية في الغرب ، (٢) .

ولقد تبين أن الهجرة الآرامية كانت من أقدم الهجرات السامية من جزيرة العرب ، وقد تمثلت في جماعات متعددة لا تعرف بهذا الاسم ، فقد أقام الإخلامو وكانوا مقترنين بالآراميين بصورة وثيقة في شمالي بلاد الرافدين ، (٣) كذلك يرجح أن ، والكلدانيين أو البابليين الحديثين كان لهم بعض العلاقة بالآراميين ، (٤) .

(١) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ١٣

(٢) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ص ٣٣ ص ٢٢٣

— راجع الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٢٧٨

— بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ، ابتداء من الألف

الثالث ق.م ، ص ١٣

— جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، في الألف الرابع قبل

الميلاد ، ص ٥٦

(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٤

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ١٥٧

(٥) نفس المرجع ج ١ ص ٢٢٨ وراجع ص ١٧٥ أيضا

وقد يكون هذا الأمر مما دفع إلى التوسع في مدلول لفظ الآراميين ، إذ يطلقها البعض على الشعوب السامية التي قنشرت وتناجرت في منطقة الهلال الخصيب ، ويعلمون ذلك ، بأن بلاد الآراميين يقال لها عند اليهود آرام لأن آرام بن سام هو الذي تبوأها وعمرها بقسله ، وكذا ورد اسمها في العهد القديم المكتوب في العبرانية ، (١) .

وقد ترقب على ذلك أن التسمية بالآراميين اكتسبت مدلولاً عاماً لا يتعارض مع الأسماء التي يسمي بها أهل كل منطقة ، كتسمية أهل بابل وما يجاورها بالكلدانيين ، وتسمية مملكة آشور بالاشوريين وتسمية أهل الشام بالأدوميين ولكن مع ذلك كانت التسمية بالآراميين تشملهم جميعاً ، (٢)

(١) إفليمس يوسف داود : اللمعة الشامية في نحو اللغة السريانية ص ٧
— انظر محمد كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ٥٧
— انظر الإصحاح العاشر من سفر التكوين آية ٣٢ ترجمة الآباء اليسوعيين ؛
(٢) القس يعقوب أوجين متى الكلداني : دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ٧
— لا يأخذ أدنى شبر بهذه التسمية ويقول إن سكان الجزيرة والعراق على اختلاف مذاهبهم كلدان اثوريون جنساً ووطناً ، وقد دعوتهم كلدانا أثوريين لأن هذين الشعبين هما في الأصل شعب واحد نظراً إلى الديانة والعادات والشرائع والآداب والصنائع ، فضلاً عن اسم الكلدان والأثوريين أطلق دون تمييز على شعب واحد في التواريخ القديمة إذ كانت الدولتان تتضامنان غالباً فتصبحان دولة واحدة ، ولا عبرة للحروب المتصلة بينهما ، تاريخ كلدو وآثور الجزء الأول المقدمة .

وواضح هنا أن القصد مشجبه إلى اعتبار منطقة الهلال الخصيب هي موطن الآراميين الأول ، غير أن من الباحثين من يرى أن قيام دولة آرامية اتخذت دمشق عاصمة لها ، وبسطت نفوذها على شمال الشام وإقليم الجزيرة هو الذي أدى إلى نشأة الاسطورة القائلة بأن وطنهم الاصل هو إقليم الجزيرة بين دجلة والفرات ، (١)

وإذا كان من المسير (٢) أن نجزم برأى في المهد الاصلى للأمم السامية بعامة ، فإن النظرية المحتملة أكثر من غيرها تجعل ذلك الموطن الجزيرة العربية (٣) .

كذلك إذا كنا لا نعلم (٤) بالضبط الموطن الاصلى للآراميين من هذه الجزيرة فإن هناك من يرى (٥) أنهم نزحوا من نجد لان آرام معناها الجبال ونجد جبلية . كذلك هناك من يرى أنهم كانوا في اول أمرهم قبائل رحلـا ينتقلون في البادية بين نجد في الجنوب ، وحدود

(١) الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء ص ٢٤٩

(٢) انظر إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٤٠٤ ، ٦٠٤

— وراجع الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٧٧

— يعلق الدكتور مراد كامل على كتاب الفيلسفة اللاهوتية لجرجى زيدان فيقول : مما لا شك فيه أن موطن الساميين في العصر التاريخي شبه الجزيرة العربية ، ص ٤١

(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الاول

ص ٦٧ .

(٤) إسرائيل ولفنسيون : تاريخ اللغات السامية ص ٥٤ .

(٥) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٤٢

الشام في الشمال ونهر الفرات في الشرق ، وخليج العقبة في الغرب ، (١)
وقد دخل الآراميون ما بين النهرين حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م . وعرفوا
باسم « آرام النهرين » ، (٢) ويقصد بالنهرين هنا « الفرات ورافده
الخابور » وليس الفرات والدجلة (٣) وقد ظلت إمارتهم التي عرفت بهذا
الاسم قائمة حتى قضى عليها الآشوريون قبل نهاية القرن التاسع ق.م (٤) .
ومن إمارات الآراميين في هذه المنطقة « إمارة فدان آرام » وتقع
في السهل المنبسطة بين الجزيرة والشام ، وكان مركزها مدينة حران . . .
التي أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الآرامية ، (٥) . كذلك توغل
الآراميون في الشام واستقروا في الشمال وكونوا عددا من الدويلات
منها « إمارة سمأل بين أنطاكية ومرعش » ، (٦) .
وفي أواخر القرن (٧) العاشر ق.م . أسس الآراميون مملكة « آرام

-
- (١) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٣
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجي زيدان ص ٢٧ .
(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٤
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجي زيدان ص ٢٧ .
(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٦
(٤) انظر الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء من ص ٢٨٠

إلى ص ٣٨٣

- (٥) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٧
(٦) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٤
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجي زيدان ، ص ٢٧
(٧) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٤

دمشق ، وقد امتدت (١) من الفرات شرقا إلى اليرموك جنوبا ، وقد خضعت (٢) لها حماه وكل النواحي التي في البادية على سواحل الفرات ، وصارت لها سيطرة على مملكتي إسرائيل ويهودا ، ولولا الآشوريون لشكلت دمشق مملكة عظيمة قوية في سورية إذ استولى عليها الملك الآشوري تغلات فلاسر سنة ٧٣٢ ق.م . وصارت بذلك ولاية آشورية ، وانتهت منها السيادة الآرامية إلى الأبد ، (٣) .

ولقد أتيج للآراميين أن يتلقوا تأثيرات حضارية عديدة مكنهم منها موقع بلادهم ، فكانوا ، ورثة الحضارة الآشورية والبابلية والفينيقية والفسارسية واليونانية ، وكانوا يتأثرون خطوات هذه الحضارات ويضيفون عليها نوتا من التطور ، (٤) كذلك تأثروا بحضارة الحبشيين والمصريين ، ولعل مما يؤيد ذلك أن مدينة سمأل وهي إحدى المدن

== انظر تعليقه أيضا على كتاب «الفلسفة اللغوية» لجرجي زيدان ص ٢٨٠، ٢٧٠
— يرى الدكتور فيليب حتى أن ذلك كان في أواخر القرن الحادي عشر ١٠ ص ١٧٧ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين .

(١) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ص ٣٠ ص ٢٨

— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٠ ص ١٧٧

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ١٠ ص ٦٦

— انظر الدكتور مراد كامل ، تاريخ الأدب السرياني ص ٤

(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٠ ص ١٨١

(٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٥٠

— انظر تعليقه أيضا على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ٣٠٠

الآرامية مدينة حيشية في تخطيطها وفي عمارتها ، كما وجدت بها بعض التماثيل التي توحى بالتأثر بالتقاليد الحيشية ، (١) كذلك كان الآراميون و أول من اقتبس الأبجدية الفينيقية ، (٢) وقد غيروا رسم صورها قليلا ، (٣) .

ولقد شاعت اللغة الآرامية وتمكنت و ببساطة أبجديتها وسهولة نحوها و صرفها (٤) و ربما فيها من سهولة ويسر ، (٥) أن تأخذ مكان اللغة المسارية ، وساعدهما على الانتشار نشاط الآراميين التجاري حتى أنها لم تمت فقط و اللغة العامة للتجارة والحضارة والحكومة في بلاد

-
- (١) الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٨٦ .
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٠٥
ص ١٨٥ .
- (٢) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٨٣
— انظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠٦
— انظر الدكتور مراد كامل : في تعليقه على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ٢٩
- (٣) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب
ص ٧١ .
- (٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٥
— انظر حديثه عن اللهجات الآرامية في نفس المرجع من ص ٧ إلى ١٦
— انظر تعليقه على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ٣٠ إلى ٣٥
واقرن ذلك بما أورده جرجي زيدان في الفلسفة اللغوية ص ٢٧—٣٢
- (٥) الدكتور عبد المنعم محمد حسنين : الإيرانيون القدماء ص ٤٢٩

الهلال النصيب كلها ، بل اللغة التي يستعملها سكان تلك البلاد في كلامهم (١) .

وقد ظل نفوذ اللغة الآرامية قويا حتى بعد زوال نفوذهم السياسي فلقد ظهر في بلاط قنلات فلاسر الذي هزمهم سنة ٧٢١ ق م . كتاب آرامي ، يدون بالآرامية الغنائم المأخوذة من إحدى المدن المفتوحة (٢) .

وحينما انتقل الحكم إلى الفرس لم تفقد اللغة الآرامية شيئا من رونقها ، بل بقيت لغة رسمية للمملكة ، ولاسيما في عهد دارا الأكبر (٥٢١ - ٤٨٦ ق م) وكذلك أيضا في عهد السلوقيين والفرثيين والسامانيين أصبحت هي اللغة السائدة في كل آسيا السامية ، وانتشرت أيضا في شمالي جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وذلك منذ القرون الأولى من ميلاد المسيح ، وظلت إلى القرن السابع منه (٣) .

ولقد كان من آثار النفوذ الذي اكتسبته اللغة الآرامية أن ، عرب

-
- (١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٨٢
— انظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠٧ .
— الدكتور نجيب ميخائيل : تاريخ مصر والشرق الأدنى ٣ ص ٢٢٢ .
(٢) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٨٢ .
(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ١ ص ١٦٠ .
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ ص ١٨٣ .
— انظر الدكتور مراد كامل تاريخ الأدب النيرباني ص ٤ ، ٥

الشمال أخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها
الآبباط ، كذلك حصل الآرمن والفرس والهنود على أبجديتهم من
مصادر آرامية ، (١)

وبالرغم من هذا كله فإن التاريخ لم يحفظ لنا كثيرا من آثار
الآراميين ، ويعال برستد ذلك بأن « أكوام المدن الآرامية في سوريا
لم يتم حفرها كلها بعد ، ولهذا لم يصل إلى أيدينا إلا آثار قليلة
لتحدثنا عن تاريخ تلك المدن » (٢) ويعزو سارتون غموض التراث
الحضاري فيما بين النهرين إلى « أن مدن هذه المنطقة المشيدة من
الطوب التي اختفت كلها أو معظمها واحدة بعد أخرى دون أن تخلف
شيئا سوى خرائب مدفونة تحت الأرض لا يمكن معرفة أخبارها إلا
بعد بحوث عميقة » (٣) .

ولكن (٤) « لا بد وأن الكلدانيين الوثنيين كانت لهم مدارس شيرة إن
كان قبل المسيح وإن كان بعده ، وما يوجب غاية الأسف أنه لم يصل
إلينا شيء من تأليفاتهم سوى كتاب (٥) أحيقار ، ورسالة مارا بن

(١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ١

ص ١٨٣ .

— انظر الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٨٥ .

(٢) انتصار الحضارة ص ٣٠٧ .

(٣) جورج سارتون : تاريخ العلم - ١ ص ١٤٩

(٤) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ٣ ص ٤٠ .

(٥) « أسطورة أحيقار تحوى بعض حكم آشورية وبابلية ، ولكنها =

سراييون (١) ، والداعى إلى ذلك هو أن تمسك الكلدان المسيحيين
بدياتهم سابقهم إلى أن يتلفوا من دون تمييز كل أثر وثنى اتصل بهم
من أجدادهم .

وهكذا نجد أن المسيحية قد عزلت الكتابات الآرامية عن العالم
وحالت بينها وبين الخروج من معقلها لأنها لم تكن تسير العقيدة
المسيحية ، وبقيت كذلك في عزلتها حتى العصور الإسلامية المتأخرة حين
قضى المغول عليها نهائيا سنة ١٢٣١ ميلادية ، وبذلك حرم العالم من
ثمار حضارة هؤلاء الأقوام ، (٢) .

وعلى هذا فإن عدم وجود آثار آرامية يرجع تاريخها إلى ما بعد
الفتح المقدوني لا يعنى أن هذه اللغة قد انقرضت بعد فتح الإسكندر
لتغلى مكانها لغة اليونانية ، إذ الواقع أنها ظلت مسيطرة ، وبالرغم من

== بالآرامية. وقد كتبت في القرن السابع أو ما بعده ، الدكتور فيليب حتى : تاريخ

سورية ولبنان وفلسطين - ص ١٨٢ .

— أقرن ذلك بما ذكره الدكتور مراد كامل من أن تاريخ تأليفها لا يزال
موضع بحث ، وكل ما نستطيع أن نقوله إنها ألفت قبل نهاية القرن الخامس قبل
الميلاد ، تاريخ الأدب السرياني ص ٣٣ .

(١) ذهب المستشرق الانجليزى كيوريتون إلى أنه ليس من الحقائق الواردة
في هذا الخطاب ما يحول دون القول بأنه كتب فيما بين نهاية القرن الأول ونهاية
القرن الثانى ، الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٢٦ .

— انظر نص الرسالة في نفس الموضوع من المرجع السابق .

(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٢١ .

ذبيوع اللغة اليونانية إلا أنها ظلت (١) لغة الغرياء ، وأما أهل البلد
الأصائل فقد ظلوا على لغتهم ، فكانت الآرامية هي لغة الشعب ، وكانت
لسان العامة ، وأداة التفاهم في شؤون الحياة .

(١) اقليمس يوسف داود : اللمعة الشبية في محور اللغة السريانية ص ٤٠ .
— انظر ما ورد في تاريخ الادب السرياني للدكتور مراد كامل من أن اللغة
اليونانية لم تكن لغة التخاطب وإنما كان تعليمها قاصرا على طبقة المثقفين من
الأغنياء ، ص ٢٦ .

الفصل الثاني

السريان

إذا كان هذا هو شأن الآراميين وحضارتهم فإنه يرد على ذهن سؤال : من هم هؤلاء السريان الذين سنتحدث عنهم ؟ وأين كانوا ؟
يقول أدى شير : وأما سورية فكان اسمها في اللغة المصرية « خارو » أو « شارو » ، واتخذها اليونان فقالوا فيه « سوريا » ، وقيل إن سوريا تحريف « أسوريا » اليوناني أي « آثور » ، والرأي الأول أصح . (١) .

ويرى فيليب حتى ما يراه أدى شير فيذكر « أن اليونان كانوا يسمون بلاد آرام سورية » (٢) ولكن لا توجد في الغالب صلة في الاشتقاق بين « سورية » و « أسيريا » و « آشور » (٣) ، وكما أطلق اليونان اسم سوريا عليها كذلك أطلقوا اسم السريان عليهم .

يقول ابن الصليبي « لكنهم أعنى اليونانيين يسموننا تعبيراً لنا السريان ونحن نردهم قائلين إن اسم السريان الذي سلبتموه عنا ليس عندنا من الأسماء الشريفة لكونه متأبياً من اسم سورس الذي ملك في أنطاكية فدعيته

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ١ ص ٥١

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ١ ص ١٨٤

(٣) المرجع السابق - ١ ص ١٨٤ .

باسمه سوريا أما نحن فاننا من بني آرام ، وباسمه ~~سكنا~~ نسمى يوما
آراميين (١) .

ويذكر أدى شير أن اسم السريان و اسم غريب خارجي أطلقه
المصريون ثم اليونان على أهل سوريا ، ومن اليونان استعاره الآراميون
الغريبيون ، ومن السريان الغربيين سرى إلى المنتصرين من السكندان
الآثوريين لأنه من سوريا أتتهم المسيحية ، فسموا باسم السريان تمييزا
لهم من السكندان الآثوريين الوثنيين ، فلم يكن الاسم السرياني يومئذ
يشير إلى أمة ، بل إلى الديانة المسيحية لا غير (٢) .

ويرى صاحب كتاب اللمعة أن القول بأن لفظة السريان أعجمية
و زعم باطل لا أصل له لأنه قول بلاسند ولا بيبة . ولأن الباقين من
السريان الأقدمين في بلاد آثور وكردستان وبلاد الشام إلى يومنا هذا
يسمون لغتهم بلسانهم سريانية ، ولا يصدق أن أمة صحيحة منتشرة
في جانب عظيم من الأرض تترك اسم لسانها وجنسها ، وتستبدل به اسما
آخر أعجميا (٣) .

ومها كان من و أمر اشتقاق لفظ (سريان) فإن أصحابه لم

(١) القس يعقوب السكداني : دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ١٠

— راجع بضعة آراء مشابهة في نفس المرجع .

— وراجع أيضا ابن خلدون : كتاب العبر وديوران المبتدأ والخبر ص ٢٨

— وراجع المسعودي : مروج الذهب ص ١٠٠

(٢) أدى شير : تاوينا كدو وآثور ص ٣ المقدمة ص ١ .

(٣) إقليدس يوسف نارد : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ص ٧ .

يعرفوا به قبل أربعمائة أو خمسمائة سنة قبل التاريخ المسيحي ، أما الآراميون الشرقيون وهم الكلدان والآثوريون ، فإن نفس التسمية لم تعرف بينهم إلا بعد المسيح على يد الرسل الذين تلمذوا هذه الديار ، لأنهم كانوا جميعا من سورية فلسطين ، وذلك إذا كان أجدادهم الأولون المنتصرون شديدي التمسك بالدين المسيحي أحبوا أن يسموا باسم مبشرهم ، فتركوا اسمهم القديم ، واتخذوا اسم السريان ليمتازوا عن بن جنسهم الآراميين الوثنيين ، ولذا أصبحت لفظة الآرامي مرادفة للفظه الصابي والوثني ، ولفظة السرياني مرادفة للفظه المسيحي والنصراني ، (٢) يقول إقليدس يوسف داود : إلى يومنا هذا ترى الكلدان الآثوريين لا يتخذون لفظة سرياني للدلالة على الجنسية ، بل على الديانة ، فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحي من أي أمة وجنس كان ، (١) .

ويرى الدكتور فيليب حتى أنه : عندما اتخذ المسيحيون الآراميون لهجة أديسا وجعلوها لغة الكنيسة والأدب والتعامل الثقافي ، صاروا يعرفون باسم سوريين ، وأصبح لاسمهم القديم أي الآراميين مدلول وثني غير مستحب في عقولهم ، ولذلك تجنبوه بوجه العموم وحلت محله التسميات اليونانية وهي سوري بالنسبة للشعب وسرياني بالنسبة للغة ، (١) .

كذلك يرى الدكتور حسن محمود ما يراه الدكتور فيليب حتى فيذكر : أن

(١) القس يعقوب الكلداني : دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ١١ .

(٢) اللعة الشهية في نحو اللغة السريانية ص ١١ .

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٨٤ .

الآراميين لما اعتنقوا المسيحية ، واستخدموا لهجة الرها في كنائسهم وفي آدابهم وثقافتهم نبذوا اسمهم الاول لصلته بالوثنية ، وسموا أنفسهم السوريين أو السريان (١) .

وقد عرض أدى شير الأوجه المختلفة لتسمية السريان فذكر أن « للكلدان المسيحيين أسماء كثيرة في التواريخ ، فسموا آراميين نسبة إلى آرام بن سام الذي استوطن هذه البلاد ، وعمرها بنسبه ، وفرسا لسكونهم وجدوا في مساكنهم ، ومشاركة لأنهم في المشرق ، ولساطرة لاتباعهم تعاليم نسطور بطريك القسطنطينية ، وسريانا شرقيين تميزا لهم من السريان الغربيين وهم اليعاقبة ، ولكن اسمهم الاصلى كلدان آثوريون جنسا ووطنا لأن منشأ كنيستهم ومركزها كلدو وآثور ولغتهم الجندسية والطقسية هي الكلدانية ، ويقال لها أيضا الآرامية ، وغلطا سميت سريانية ، كما أنه غلطا أيضا سمي النصارى سريانا، (٢)

كذلك تحقق أن السريان اليعاقبة أيضا أقروا أن أصلهم كلدان آثوريون جنسا ولغة وأن اسم السريان هو يوناني خارجي أطلق غلطا وزورا عليهم . (٣)

وبما يجدر ذكره في هذا الصدد أن مؤرخي العرب القدماء أطلقوا لفظ السريان والسريانية دون تحديد .

(١) الصاميون القدماء ص ٣٨٥ .

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ المقدمة ب .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ المقدمة ج .

يقول المسعودى تحت عنوان « ذكر ملوك السريانيين ولمسح من أخبارهم » إن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان ، وقد قنوزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى السريان هم النبط ، ومنهم من رأى أنهم إخوة لولد ماس بن نبيط ، ومنهم من رأى غير ذلك ، (١) وهو يذهب إلى أن اللسان السرياني « هو اللسان الأول ، لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء » (٢) كذلك يرى الجهمشيارى أن « أول من وضع الكتاب السرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام » (٣) ، ويذكر العنقشندى « أن لغة العرب المستعربة وهم بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل كانت السريانية أو العميرية لأن لغة عابر وإسماعيل كانت سريانية أو عبرانية (٤) »

-
- (١) المسعودى : مروج الذهب - ١ ص ١٢٩ .
— يعلق ابن خلدون على كلام المسعودى فيقول « إن المسعودى سمي من ملوك السريانيين تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لا فالدة في نقلها لغة الوثوق بالأصول التي بين أيدينا من كتبه وكثرة التفسير في الأسماء الأعجمية » العبر وديوان المبتدأ والخبر - ٢٨ ص ٧٠ .
- (٢) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ٦٩ .
— راجع : المسعودى : مروج الذهب - ١ ص ٢٧٧ .
- (٣) كتاب الوزراء والكتاب ص ١ .
— انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد - ٣ ص ٣ .
- (٤) صبح الأعشى : ١ ص ٣١٨ .

البر الشافى

المراكز الثقافية فى الشرق القديم

أولا : الإسكندرية

حيثما نتحدث عن المراكز الثقافية في الشرق القديم ، يرد إلى الذهن ذكر الإسكندرية ذلك لأنها تمثل أحد المراكز الرئيسية التي انتقلت منها الثقافة اليونانية إلى الشرق . يقول أولسيري ، إن الثقافة الإغريقية التي كانت الدولة الرومانية والكنيسة يذورانها لم تكن وافدة من أئينا ، بل كانت بؤرتها الإسكندرية من بلاد مصر ، (١) .

وفي تصوري أن هذا الدور الذي قامت به الإسكندرية قد تراءى لمؤسسها حين عم بنائها ، وسواء أراد الإسكندر أن يجعل منها مقرا لإمبراطورته أو يخلق منها نغما مقدونيا يخلف صور في العالم التجاري ، فإنه أراد أيضا أن يكون هذا الثغر وقد قام على أسس الحضارة الإغريقية منبعا تتفجر منه عيون تجرى بماء هذه الحضارة ، فينشر خصبا بين ربوع الشرق القديم ، (٢) .

والواقع أن الأمر كان مهيا للإسكندرية ، لتصبح المركز الجديد للتفكير العالمي على اختلاف اتجاهاته ، فلقد مكنتها موقعها من أن ترتبط بعلاقات تجارية مع كل الأمم التي تقع حول البحر المتوسط ، كما جعلها حلقة الاتصال الوحيدة بثروة الشرق وحضارته . وكانت عناية حكام مصر بها سببا في أن تزايد مزايها ، (٣) إذ اتخذها بطليموس سوتر (٢٢٣ - ٢٨٥ ق م) عاصمة له ، ولما كان متعمقا في دراسة آراء أرسطو

(1) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs p. 19.

(٢) الدكتور إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ص ١٣ .

(3) Encyclopedia Britannica Volume 1. p. ٢81

أخذ يعمل على تنظيم المعرفة والبحث بهمة واقتدار عظيمين ، (١) فأشأ المتحف ، الذي أصبح بعد قليل جامعة هليزية تنافس المدارس الاثينية القديمة (٢) ، وألحق به مكتبة جمعت كل كنوز الحكمة ، وأجرى المنح على العلماء اليونانيين لحبب إليهم الإقامة حوله ، ثم جاء بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٧ ق . م) فاهتم بأمر المتحف أكثر من سلفه ، وجمع فيه العلماء والشعراء اليونان الذين كونوا فيما بعد الجامع العلمية للآداب والفنون والذين جمعوا في المكتبة ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد (٣) .

ولقد كان انتقال الحركة العلمية إلى الإسكندرية واضطلاعها بالدور الذي كانت تقوم به أمينا قبل ذلك بداية للدور الثاني في حياة الفلسفة اليونانية ، فبعد أن كانت طرق البحث تأخذ الوجهة النظرية اتجهت إلى الاعتماد على الاختبار للحصول على العلم المنتج .

يقول أ . وولف : إن العلم الفلسفي الذي توارثه الإسكندريون عن مصر القديمة تلاقى بالتفكير الإغريقي ، وفي هذا التصاهر بين العمل والنظر ظفر علم الكيمياء ببدايته ، ولاحظ السكياتيون الإسكندريون أن المادة يحدث لها تغييرات كثيرة ، فأنتهوا من هذا إلى أنها قابلة للتحويل ، وبهذا كانت نظريتهم عن المادة كنظرية أرسطو ، وليكنها كانت مؤيدة إلى حد ما بالتجربة ، (٤) .

(١) ه . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز توفيق ص ١١٧ .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإفريقية إلى العرب ص ٢٧ .

(٣) الدكتور إبراهيم سلامة : تيارات أدبية بين الشرق والغرب ص ١٤٩ .

(٤) انظر الدكتور إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطلمة ص ٥٣ .

ومن علماء هذه الفترة أبولونيوس د. مات حوالي ٢٢٥ ق. م. ، وله كتاب المخروطات في علم أحوال الخطوط المنحنية ولما أخرجت الكتب من بلاد الروم إلى المأمون أخرج من هذا الكتاب الجزء الأول لاغير ويشتمل على سبع مقالات وترجم الأربيع مقالات الأولى بين يدي ، أحمد بن موسى ، هلال بن أبي هلال ، الحصى والثلاث الأواخر ثابت بن قره الحرائق ، (١) .

كذلك اشتهر هيبارخوس (١٩٠ - ١٢٥ ق. م.) في هذه الفترة ، كما اشتهر هيرون (٢) الذي ترجم قسطا بن لوقا البعلبكي كسبه إلى العربية ، ومن علماءها أيضا بطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطى ، وهو ثلاث عشرة مقالة ، وأول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد ابن برمك ، وفسره له جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض بذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسليمان صاحب بيت الحكمة فأقنناه ، واجتهدا في تصحيحه ، وقد قيل إن الحجاج بن مطر نقله أيضا ، (٣)

== انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٤ .

— عرض تاريخي للفلسفة والعلم - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف ص ٢٤٢

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٤٤ ، ٤٥ .

— انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٧ .

— انظر الحديث عن مؤلفاته في مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب

لأوليري ص ٢٤ .

(٢) انظر : أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٤٦

(٣) القفطي : أخبار الحكماء ص ٦٩

— انظر أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٤٨

كذلك نجد إقليدس صاحب كتاب الأصول وقد نقله الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي نقلين ، ونقله اسحق بن حنين ، وأصلحه ثابت بن قره الحرائي ، ونقل أبو عثمان الدمشقي منه مقالات ، (١) .

ويبدو أن هذا النشاط العلمي لم تنعكس آثاره في الحياة العامة ذلك لأنه لم تكن هناك تطبيقات للعلم إلا في مجال الطب ، وهكذا حيل بين طوائف الشعب وبين الاستفادة منه ، وظل الأمر محصوراً في نطاق الفلاسفة والعلماء .

يصف هـ. ج. ويلز هذه الحركة العلمية بقوله : كان مثلها كمثل نور في مصباح معتم يجذب النور دون العالم كافة ، وقد تكون الشعلة وهاجعة تخطف الأبصار ، ولكنها مع ذلك مستورة لا تراها الأنظار ، (٢) ولقد ضعف شأن الإسكندرية قبل استيلاء الرومان عليها ، فلما دخلت في حوزتهم زاد شأنها ضعفاً ، وقنيرت وجهة علومها وانحصرت في الفلسفة ، (٣) .

وترجع أسباب هذا الضعف في رأي د. ماهاني ، إلى أن البطالة عندما تهمروا ووقعوا تحت سلطان كهنة مصر ، كفوا عن مولاة ما كان يجري في المتحف من عمل ، ولم يلبث إشرافهم عليه أن خنق روح البحث

(١) التفتي : أخبار الحكماء ص ٤٦ ، ص ٤٧ .

— انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٣٨٥

(٢) هـ. ج. ويلز : موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز قوفيق جاويد

ص ١١٩ .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ج ١ ص ٣١١ .

والتقصي سخفا تماما ، (١) .

ويرى ويلز أن تقدم العلوم فى الإسكندرية ، لم يكن يحفزها ويحافظ عليه اهتمام القوم بالتطبيقات العملية ، ولا ما تحمته تلك التطبيقات من هزة فى النفوس ، لذا لم يكن هناك شئ يدعو إلى الاستمرار فى العمل عندما ولى بطليموس الأول والثانى وزال أثر حبهما للاستطلاع ، (٢) .

كذلك كان استيلاء الرومان على الإسكندرية فى سد ذاته له دوره فيما آلت إليه الحالة العملية من تدهور ، إذ لا يخفى أن الحياة العلمية فى حاضرة كبيرة تجد صعوبة شديدة فى مقاومة الانهيار السياسى ، (٣) .

وإلى جانب هذا كله ، كان المصريون يكرهون كل ما هو روماني حتى فى الشئون الثقافية الخالصة ، فلم تنتشر الثقافة اللاتينية بين المصريين ، بل لم تنتشر اللغة اللاتينية فى مصر ، ولعل هذا ما دفع ولاية الرومان إلى أن يصطنعوا اللغة اليونانية ، ويتخذوها لغة رسمية فى الديار المصرية ، (٤) .

ولقد كانت مدرسة الإسكندرية ، ملتقى الشرق والغرب ، وموطنا لليهود تم فيه إمتزاج عجيب بين الدين اليهودى والفلسفة اليونانية ، ولقد تمت ترجمة اليونانية للكتاب المقدس ، العهد القديم ، فى هذا المكان ،

(١) نقلا عن هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١١٧

(٢) هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١١٨ .

(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية : ترجمة رمضان لاوند ص ١٨ .

(٤) الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ١٨

وفي وسعنا أن نلمس فيه وفي أدب الحكمة بداية المحاولة التي كان هدفها التوفيق بين الدين اليهودي والأفلاطونية .

ومن العلماء الذين عملوا في هذا الميدان فيلو (٢٠ ق م - ٥٠ م) ،
وقالسينوس الغنوسطي (١٢٠ - ١٦٠ م) وباسيلسوس (١١٧ -
١٣٨ م) ، وكلمنت (١٥٠ - ٢١٣ م) ، وأرجن (١٨٥ - ٢٥٤)
وأفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) وتعرف كتبه باسم التاسوعات (١) .
وفورفورديوس (٢٢٣ م ومات بعد عام ٣٠١ م) ومن أهم كتبه
إيساغوجي (٢) والجل .

وقد ظلت الأفلاطونية الحديثة سائدة في المملكة الرومانية حتى
أشلق الإمبراطور جوستيان مدرسة أئينا الفلسفية سنة ٥٢٩ م .
ولقد ناقش أوليري الرأي القائل بأن هذه الفلسفة إسكندرية

١ - وقد انتشر الكتاب الرابع والسادس من تساعيات الأفلاطون ، في
صورة مترجمة إلى السريانية تحت اسم لاهوت أرسطوبين المسيحيين الذين كانوا
يتكلمون السريانية ، وعلى الأخص اليعاقبة ، وقبلها المتقدمون من علماء بغداد
من عصر ما قبل الكندي باعتبارها من أعمال أرسطو ، واعتبراها الكثيرون من
المتأخرين كذلك ، ومن السهل أن نرى قدر مساهمة هذه المادة في خلق تزمة
فكرية حلوية وصوفية كالتى تبدو في الفلسفة الإسلامية .
أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣٧ .

٢ - يقول القفطي إنه ، أخذ عنه وأجنىف إلى كتب أرسطو وجعل . أولا
لها ص ١٧٠ . أخبار الحكماء .

الجورجر ، ورأى أن ذلك مبالغة إذا لم يكن خطأ . (١) لأن
عناصرها الأولى مستمدة من آراء أفلاطون وأرسطو والرواقيين ، (٢) .
ولقد أحدثت الكتب التي وضعها رجال هذه المدرسة إبان حملتهم
على المسيحيين مالم يسكن ينظره الناس ، فقد غذت اللاهوت المسيحي
بالمكتشفات العلمية اليونانية وتعاليم أرسطو ، كذلك كان لهذا المذهب
أثره في اللاتين والتفكير ، إذ كثرت الكتابة في الموضوعات المسيحية ،
وبنيت كلها على مذهب الأفلاطونية الحديثة ، (٣) .

ولقد أقدم كثير من آباء الكنيسة على الفلسفة يتدراسونها ، لأنهم
رأوا من الضروري أن يؤيدوا أنفسهم وعقائدهم أمام الوثنيين ، (٤) .
و ليستعينوا بما لها من منطق وترتيب في الجدل ، وبما لها من
أبحاث وراء المادة على تأييد وجهة نظرهم . (٥)

غير أن هذا النقاش الذي احتدم في هذه الفترة ، قلما أفاد العلم
لأن إحصائه كانت غايتها دينية ، (٦) .

يقول سويتمان ، ولقد كان للأفلاطونية الحديثة أثر عظيم على الفلسفة
الدينية فيما بعد ، سواء في المسيحية وفي الإسلام ، ويجب النظر إلى

(١) أوليري : منالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣٦

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٥٩

(٣) ماكس فاناجو : المهجرة العربية ص ٢٠

(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٣٣

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٦٠

(٦) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١١

هذا الأمر بعين الاعتبار عند التعرض لدراسة التصوف الإسلامي » (١). ويقول الفارابي « فصار التعليم في موضعين ، وجرى الأمر على ذلك إلى أن جاءت النصرانية ، فبطل التعليم من رومية ، وبقي بالإسكندرية ثم نظر ملك النصرانية في ذلك ، واجتمعت الأساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل ، فأوا أن يعلم من كتب المنطق إلى آخر الأشكال الوجودية ، ولا يعلم ما بعده لأنهم رأوا أن في ذلك ضررا على النصرانية ، وأن فيها أطلقوا تعليمه ما يستعان به على عمرة دينهم ، فبقى الظاهر من التعليم هذا المقدار وما ينظر من الباقي مستورا إلى أن كان الإسلام بعده بمدة طويلة » (٢) .

ولقد ظلت مدرسة الإسكندرية قائمة حتى بعد أن فتح العرب مصر وكانت تبعا لهذا المدرسة اليونانية البهتة الوحيدة في البلاد التي غزاها العرب في دفعتهم الأولى ، ومن المحتمل الظن بأنها لا بد أن تكون قد قامت بدورها في نقل العلوم إلى العرب (٣) . غير أن التدهور كان قد أصابها حتى أصبح « من الصعب بل قد يكون من عدم الممكن أن نفترض وجود مكتبة كبيرة عامة حقا في الإسكندرية بعد نهاية القرن الرابع الميلادي » (٤). وعلى ذلك ففي أيام الفتح العرب لم يكن هناك مكتبة ذات أهمية في الإسكندرية .

(١) J·Windrow Sweetman : Islam and Christian theology p 46

(٢) ابن أبي أصيبعة : ج ٢ ص ١٣٥ طبعة الوهية

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٣٧

(٤) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤١

ولئن اتفق كثير من مؤرخي العرب في القول وبأنه في الإسكندرية في العصر الهليني المتأخر قد ألف بمجموع كتب طبية ، وجوامع لستة عشر كتابا من كتب جالينوس (١) ففي يقيني أن هذه الجوامع لم يكن لها قيمة عليية تذكر ، والدليل قول أبي الخير بن الخار و أنا اظن أنهم قد قسروا فيما جمعه من ذلك لأنهم يعوزهم الكلام في الأغذية والأهوية والأدوية ، قال الترتيب أيضا قسروا فيه لأن جالينوس بدأ من التشريح ثم سار إلى القوى والأفعال ثم الاسطقسات ، (٢) .

على أية حال فلقد اتصل المسلمون بمدرسة الإسكندرية منذ زمن

== — انظر فليب حتى : تاريخ العرب : المجلد الاول ص ٢٠٢ .
— واقرن ذلك بقول القفطي ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ أخبار الحكماء و فشرح عمرو بن العاص في تفرقة كتبها على حمامات الإسكندرية وأحرقها في موافدم ،
— واقرنه أيضا بما ذكره ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٥
— ارجع بعد ذلك إلى الأدلة التي سأقها جواهر لال نهرو لتفنيد هذه الفرية في كتابه و لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة الدكتور عبد العزيز عتيق ص ٣٩ .
— وارجع أيضا إلى الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٢٣ ، ٢٤ .

١ — ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤٥ .

٢ — انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٠٨
وانظر ص ١٠٣ من نفس المرجع . وانظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤٥ ، وانظر محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٧٩ .

الفتح ، ولما جاءت الدولة الأموية شجع اهتمام خلفائها بالعلوم المسيحية على تأكيد هذه الصلة ، فاستدعى خالد بن يزيد بن معاوية (١) بعض العلماء من الإسكندرية ، وكلفهم ترجمة كتب الكيمياء إلى اللغة العربية ، ومن هؤلاء إسطفانوس وماريانوس . كذلك قام ماسرجويه (٢) (ماسرجيس) في عهد مروان أو في عهد عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب في الطب لأهرن القس إلى العربية ، وكان قد وضعه بالسريرية . ثم انتقلت مدرسة الإسكندرية (٣) إلى مدينة أنطاكية في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، ويمكن أن نعزى ذلك إلى أن الإسكندرية فقدت أهميتها بعد أن اتخذ العرب عاصمتهم في القسطنطينية ، وأصبحت الإسكندرية في عزلة تامة عن مركز السيطرة والسلطان ، فكان قيام الدولة الأموية في الشام وعلو نجم الأمويين وعاصمتهم دمشق حافزا على انتقال مركز العلم والعرفان إلى موطن حكمهم ، وأخذ بعض الخلفاء والأمراء الأمويين يشجعون

(١) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠ ص ٢١١ وانظر ابن النديم : الفهرست ص ٥١١ وانظر خودابخش : الحضارة الإسلامية : ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي ص ١٥٣

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٥٧
وانظر ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٧

وانظر خودابخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٣ .

(٣) راجع الروايات العربية عن انتقال مدرسة الإسكندرية عند ماكس مايرهوف في بحثه « من الإسكندرية إلى بغداد » ، من ص ٦١ إلى ٦٠ .

رعاياهم الضليعين في العلوم الإغريقية على متابعة جهودهم ، وقربوا إلى بلاطهم من يمكن الاستفادة بهم كالأطباء حتى أضحت الشام تربة صالحة تنتقل إليها معارف مدرسة الإسكندرية (١) .

ولقد ذكر خودابخش أن عمر بن عبد العزيز ، اهتم بالدراسات اليونانية أثناء حكمه لمصر في خلافة سايان بن عبد الملك ، وفي مصر تعرف بابن أيجر مدرس الفلسفة اليونانية في الإسكندرية ، وقد استمرت الصداقة طويلا ، وحينما تولى عمر بن عبد العزيز انتقلت الدراسات اليونانية من مصر إلى أنطاكية وحران ومنها إلى سائر الأمصار الإسلامية ، والأستاذ شبلي على حق في ظنه أن الفضل في ذلك يرجع إلى رحيل ابن أيجر عن الإسكندرية ، (٢) .

ولقد ظلت بقايا مدرسة الإسكندرية ماثلة حتى العصر العباسي ، وهي وإن ضعفت تعاليمها ودراساتها فقد كان لها أثر باق في هذا العهد ، (٣) .

(١) الدكتور إبراهيم المدوي: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٤

(٢) خودابخش: الحضارة الإسلامية ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) أحمد أمين وزكي نجيب محمود: قصة الأدب في العالم ص ١٠٢٧٦ .

ثانياً حران

تقع حران فى شمال العراف بين الرها ورأس العين ، وقد اتخذت عاصمة لإمارة فدان آرام ، كما كانت مركزاً هاماً من مراكز الثقافة الآرامية ، تردد ذكرها فى التوراة بما يشير إلى صلة الآراميين بالعبانيين ، (١) .

ولقد سكنها كثير من اليونانيين على عهد الإسكندر الأكبر ، وكان من أثر ذلك ، أن الآلهة المعبودة عند الحرائين اتخذت أسماء يونانية (٢) .

وترجع أهمية حران إلى أنه اتصلت فيها ، وثنية الساميين القديمة بالأبحاث الرياضية والفلكية ، وبنظريات المذهبين الفيثاغورى الجديد والأفلاطونى الجديد ، (٣) .

ولما جاءت المسيحية لم يمتنعها الحرائيون ، ولذلك سميت حران هيلينوبوليس (٤) أى مدينة الوثنيين بدافع (٥) السخرية والاحتقار ،

(١) الدكتور نجيب ميخائيل : تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ٣٠٠ سوريا ص ٢٧

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٦

(٣) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة محمد عبد الهادى أبوريد ص ١٨ .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية فى مادتي حران وصابئة .

(٥) الدكتور عبد الرحمن بدوى : التراث اليوناني فى الحضارة الإسلامية

ص ٧١-٧٢ .

ويبدو ، (١) أن دينهم كان مزيجاً من الديانة البابلية واليونانية القديمة والأفلاطونية الحديثة حتى كان شأنهم كذلك في العصر الإسلامي إلى عهد المأمون ، فتسموا إذ ذاك بالصابئة احتفاءً بما يفهم (٢) من القرآن الكريم من عد الصابئين من أهل الكتاب ، واستناداً إلى أن . أحداً لم يكن يعرف من هم الصابئون ، (٣) . وما يجدر ذكره أنه . لم يكن بخران ونواحياً قوم يسمون بالصابئة ، (٤) قبل ذلك .

وقد وقع خلاف في أصل الصابئة في الآثار الباقية ، أن أول المذكورين من المنتهين بوذاست وقد دعا إلى ملة الصابئين . . . وبقياً أولئك الصابئة بخران ينسبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرانية . .

— اقرن ذلك بقول الدكتور إبراهيم العدوي ، وكانت مدينة حران تسمى هيلينوبوليس . أى مدينة اليونانيين لتقدم العلوم اليونانية ، .
و الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦ .

(١) احمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٧ .

(٢) راجع قول الله تعالى ، إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، سورة المائدة : الآية ٦٩

— وراجع أيضاً قوله تعالى ، إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد ، سورة الحج : الآية ١٧ .

(3) O'Leary : How Greek Science Passed to the Arabs P. 172-173.

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٠ . راجع في هذا الموضوع أسباب

وقد قيل إن هؤلاء الحرافية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة ، بل هم المنتمون
في الكتب بالحنفاء والوثنيين ، (١) .

وفي كشف الظنون أن الصابئة هم الذين قالوا بفساد يعقوب وهرمس
وهما شيث وإدريس عليها السلام ، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء ، (٢) .

وفي التنبيه والإشراف ، وصابئو المصريين الذين بقيتهم في هذا
الوقت صابئو الحرائين ، (٣) .

ويرى أوليري ، أن الصابئين الحقيقيين كانوا في جنوب بلاد
العرب ، ولم يكن لحران علاقة بهم (٤) .

ولقد اختلفت مذاهب الصابئة باختلاف فرقهم فهناك صابئة
حنفاء ، وصابئة مشركون ، وصابئة فلاسفة ، وصابئة يأخذون بمحاسن

اتشعالم بهذا الاسم . ثم راجع ماعلق به :

— وراجع أيضا : دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام : ص ١٩ .
— كذلك راجع الدكتور ابراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وامبراطورية
الروم ص ١٦٦ .

(١) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٢٧ .

— انظر دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٩ .

— وانظر الشهرستاني : الملل والنحل القسم الثاني ص ٦٦٣ .

(٣) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ١٠١ .

(٤) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs p. 173

ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بملة ولا نحلة ، (١) .
ومن الصابئين من « يعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات
حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء » (٢)
ومنهم من يرى « أن للعالم صنما فاطرا حكما مقدسا عن سمات
الخدثان ، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما
يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المظهرون
المقدسون جوهرًا وفعلاً وحالة » (٣) .

ويذكر ابن العبري أن « دعوة الصابئة هي دعوة الكلدانيين القدماء
بعبثها » (٤) .

ومن الصابئين قوم سكنوا البطيحة ، وهي أرض واسعة بين واسط
والبصرة ، وهؤلاء كانوا « فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح عليه
السلام » (٥) .

ومن طوائف الصابئة الحرثانية ، وقد قال هؤلاء « إن الصانع المعبود
واحد وكثير ... وقالوا هو أبداع الفلك ، وجمع ما فيه من الأجرام

(١) الألويسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - ٣ ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع - ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل : تحقيق محمد بن فتح الله بدران القسم

الثاني ص ٦٧٣

(٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٦

(٥) القفطي : أخبار الحكمة ص ٢٠٤

والسكواكب وجعلها مديرات هذا العالم ، (١) .

ولقد قامت مدرسة حران في عهد الخليفة المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١ م
٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) حين انتقلت إليها مدرسة أنطاكية ، ولقد تم نقل
هذه المدرسة إلى حران على يد تلميذين لا يعرف اسمها ، تتلذا على
أستاذ كان في أنطاكية لا يعرف اسمه كذلك ، وحمل هذان التلميذان
معها مكتبة أنطاكية إلى حران ، (٢) .

ولقد توفرت عدة عوامل ساعدت حران على أن تتخلف أنطاكية
و إذ كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية في المنطقة التي تكلم أهلها اللغة
السريانية ، كما كانت كذلك مركزا للتبادل والاتصال الثقافي ، (٣) .

واقدمت مدرسة حران تقوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها
صلواتها إلى بغداد في خلافة المعتضد .

يقول نيكولسون : إن مدرسة الصابئة ببغداد وهي المدرسة التي

(١) الشهرستاني : الملل والنحل : القسم الثاني ص ٨٧٢ وانظر ص ٧٨٨
من نفس المرجع .

— راجع القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٠٤ .

(٢) الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم
ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

— راجع الدكتور عبدالرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية
ص ٦٩ ، ٧١ .

(٣) الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦

— انظر الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في أصول التعريب ص ٧٤ .

أنجبت طبقات متعاقبة من أفاض العلماء والفلاسفة لم تؤسس حتى نهاية القرن التاسع ، ومع ذلك يكاد الإنسان يوقن بأن الاتصال الفكري بين الصابئة والمسلمين قد وجد سبيله إليهم قبل هذا التاريخ بزمن طويل ، (١) .

وكان في طليعة أولئك الذين جاءوا من حوران ثابت بن قررة (٢٢١ - ٢٨٨ هـ) الذي أرسله محمد بن موسى بن شاكر بالمعتضد ، وأدخله في جملة المنجمين ، وهو الذي أدخل الصابئة إلى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم ، وعلت مراتبهم ، وبرعوا ، (٢) .

وسنان بن ثابت وكان طبييا للمقتدر ، وقد بلغ من علو منزلته أن وكل إليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وإجازتهم ، ولقد أشار سنان بفتح البيارستان المقتدرى ، وأنفق عليه من ماله ، كما فتح بيارستان « السيدة » ورتب المتطهين به ، ولقد نقل إلى العرب نواميس

(١) نيكولسون: في التصوف الإسلامى ص ١٥ ترجمة الدكتور أبو العلاء غنيمى

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ٨١ .

— راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .

— يقول عنه كويلر يونج ، أنه من مشهورى العرب الذين قاموا فى الفلك بملاحظات قيمة ، ونقلوا أعمالا مهمة ضاعت أصولها الإغريقية ، وهو زعيم طائفة من عبدة النجوم ازدهرت فى حوران إلى أن خرب المغول معبدهم فى القرن الثالث عشر .

— أثر الإسلام الثقافى على المسيحية ص ٢٢٦ ، مقال فى كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله .

هرمس ، والصلوات التي يصل بها الصابئون ، ومن تصانيفه (١) رسالة في تاريخ ملوك السريان ، ورسالة في شرح مذهب الصابئين .

ولإبراهيم بن سنان : وكان فاضلا في علم الهندسة ، مقدا فيها ، وله مصنفات حسان في هذا الشأن (٢) . من أهمها إحدى عشرة مقالة في الدوائر المتاسة .

وهلال بن إبراهيم : وكان طبيبا حاذقا تقدم عند أجلاء بغداد وخالطهم بصناعته .

وثابت بن إبراهيم (٣) : وكان كذلك طبيبا حاذقا ببغداد . والبتاني وهو د أحمد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم وكان أصله من حران صابئا (٤) .

وهكذا قدمت حران كثيرا من الاساقفة الذين أمدوا الفكر العربي بطاقة هائلة دفعتهم نحو التقدم .

وقد ظهر أثر الحرايين د الأكبر في الرياضيات وخاصة الهيئة ، ولعل ما في ديانتهم من تعظيم الكواكب ، وإقامة الهياكل لها ، كان باعثا على نبوغهم في العلوم الرياضية والفلكية ، (٥)

(١) انظر قائمة بتصانيفه في أخبار الحكماء القفطى ص ١٣٣

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥

— راجع القفطى : أخبار الحكماء ص ٤٣٠، ٤٣٢

(٣) انظر تفاصيل أخباره عند القفطى : أخبار الحكماء ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٩

كذلك كانت حران ، أحد المراكز الرئيسية التي أشعت الثقافة اليونانية على العالم الإسلامي فالشهرستاني وغيره من المؤلفين المسلمين يصفون دين الحرايين الفلسفي ووصفا ينطبق على الأفلاطونية الحديثة ، كما نعرفها في فلسفة ابرقلس ومبليخوس ، (١) ولقد تفوق الحرايون على الآخرين ، بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذا كانت ترجمتهم أكثر دقة ، (٢)

ولقد عرض سويتمان إلى الأفكار التي انتقلت إلى المسلمين عن طريق حران فقال ما ترجمته ، إن أدب هرمس المتعدد الجوانب كان له تأثيره في حران ، ويضاف إلى هذا الأفلاطونية الحديثة التي لم يكن من السهل أن تفرق بينها في هذا المجال وبين فكرة الخلاص الهندية ، فإذا كان من المستطاع أن نطلق على هذا المركب الحضاري اصطلاحا

== انظر الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦

(١) نيكولسون : في التصوف الإسلامي : ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي ص ١٥ .

— ويتفق معه فون فيسندك فيقول إن لامتزاج الحضارة العربية ببقايا المدينيات القديمة ، ولاسبابا بتلك التي برزت من مدينة حران السورية أهمية خاصة فمنها كانت تنسرب بدائع الحضارة اليونانية إلى نظم القرن التاسع ،

ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية في القرن الرابع عشر ص ١٧١ : ترجمة محمد عبد الله عنان : رسالة نشرت مع فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

(٢) خود انجس : الحضارة الإسلامية ص ١٥٨ .

أو تعريفاً ، فإنه كان قد اضحى وتم قبل أن يصل إلينا ، وإن التمييز الذي صنعه الحرايمون بين هرمزوسيث أنبيائهم وبين أغاذيمون وإيثك يشير إلى نزع من الغنوسطية ، وربما كان لبعض الأفكار الذاهبة إلى وحدة الوجود في الإسلام أصول في هذه المدرسة ، ولم تكن الأفكار الصوفية وحدها ذات أهمية عند الحرايميين ، فقد شاعت بينهم بعض الأفكار الارسطية المشهورة ، وقد ذكر الفهرست أبو روح الصابئ على أنه مترجم لكتاب الطبيعة ، كما لخص ثابت بن قره كتاب التاسوعات ، وشرح جزءاً من كتاب الطبيعة مع بعض تعليقات لفورفوروس ، ولم تكن الصابئة بمنأى عن التأثر بالمسيحية إذ أنها لم تكن بعيدة عنها في الرها ورأس عين ، (١)

(1) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology
P. 85.



ثالثا : جنديسابور

حين تولى سابور بن أردشير « ٢٤١م - ٢٧٢م » أمر الفرس ، استطاع أن يهزم فاليران إمبراطور الروم سنة ٢٥٨م ، ويفوز ببلاده ، ويفتح منها عدة بلدان ، ولقد تمكن سابور في هذه الحرب من أن يأخذ فاليران أسيرا هو وجيشه ، ولكنه كان لطيفا مع هؤلاء الأسرى لثقافتهم الفاتحة ، ولرغبته الملحة في استغلال مواهبهم ، واستشار مهارتهم فيما يعود على بلاده بالخير (١) ولقد استخدمهم في تنفيذ كثير من المنشآت الهندسية ، فأرسل كثيرا منهم ليقموا خزانا (٢) عظيما يسمى « شاذوران » على نهر الدجيل (٢) أسفل تستر .

وكان من نتيجة ذلك أن ارتفع ماء النهر إلى المدينة لأن تستر كانت تقع على مكان مرتفع من الأرض (١) ، ولقد وصف ياقوت هذا

(١) يقول أبو حنيفة الدينوري في الاخبار الطوال ص ٤٩ ط . ليدن ، كان سابور قد أسر الريانوس خليفة صاحب الروم ، فأمره ببناء قنطرة على نهر تستر على أن يخليه ، فوجه إليه ملك الروم الناس من أرض الروم والأموال فبناهما ، فلما فرغ منها أطلقه .

(٢) جاء في تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٨٠ ، وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر وعرضه الف ذراع .

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان ج ١ ص ٨٤٨ أن بخوزستان أنهار كثيرة وأعظمها نهر تستر وهو الذي بنى عليه سابور الملك شاذوران بباب تستر .

(٤) راجع ابن خردادبه : المسالك والممالك ط . ليدن ص ١٧٢ وراجع

ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٢٧ .

الشاذوران بأنه من عجائب الابدنية ، فطوله نحو الميل ، وهو مبني بالحجارة المحكمة والصخر وأعمدة الحديد (١) .

وقد أسكن سابور هؤلاء الأسرى في ثلاث مدن . كانت إحداها قريبة من سوسة ، وقد سميت به آن انديوى سابور ، أو السابورية التي تفضل أنطاكية (٢) أو جنديسابور (٣) أي معسكر سابور . ولقد ظل شأن جنديسابور عظيما حتى عهد هرمن إذ توقفت عن أن تكون مقرا ملكيا منذ ذلك الحين ، وبدأت تتحول تدريجيا إلى أكوام من الخرائب والأطلال حتى جاء سابور الثاني ، وألفاها على هذه

(١) انظر معجم البلدان ج ١ ص ٨٤٨ . وانظر ابن خرد ذبه : المسالك والممالك ص ١٦٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٨٦١ - ص ٨٦٦ الطبعة الحسينية .

(٣) يقول أبو حنيفة الدينورى في الأخبار الطوال ، إن اسمها بالخوزية نيلاط وأهلها يسمونها نيلاب ، ص ٤٨ .

— وفي معجم البلدان ج ٤ ص ٨٦١ (أن من أسماء جنديسابور نيلاب ، وكان اسمها قديما نيلاط .

— انظر سبب التسمية في معجم البلدان ج ٢ ص ١٣٠ ، ج ٣ ص ٥٥ .

— يذهب القفطى إلى أن « سابور ابن أردشير كان قد هادن فيليبس قيصر ملك الروم ، فطلب منه أن يزوجه ابنته ، وقبل أن تنتقل اليه بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية ، وهى مدينة جند يسابور ، أخبار الحكماء ص ٩٣

— يتبع عيسى اسكندر المعالوف ابن القفطى في كتابه : تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة ص ٩ ط . دمشق .

الحال فأعاد بناءها (١) وسماها أنتيسابور أو أنطاكية سابور .

وقد رجح أوليري (٢) الرأي القائل بأن سابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢ م) هو الذى أسسها ، وإن كان سابور الثانى قد جدد معالمها بعد أن تدمرت ، وتدهورت منذ أيام هرمز غير أن « أدى شهر » يذكر أن سابور الأول « قد جدد بناء كوند يشابور ودعاها انطيشابور » (٣) .

ويبدو أن رأى أوليري مستقى عما قرره معظم المؤرخين القدامى أمثال اليعقوبى (٤) ، وياقوت (٥) ، وأبى حنيفة الدينى (٦) ، وابن الأثير (٧) .

(1) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs P 17.

(٢) نفس المرجع ص ١٧ .

(٣) أدى شهر : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢٦

(٤) (وملك سابور بن أردشير فبنى مدينة جنديسابور) ج ١

ص ١٨٠ .

(٥) (جنديسابور بناها سابور بن أردشير) معجم البلدان ج ٢

ص ١٣٠ .

(٦) (فلا ملك سابور بن أردشير بنى مدينة جنديسابور)

الأخبار الطول ط . ليدن ص ٤٨ .

(٧) (إن سابور ذا الأكتاف أسرقيصر وألزمه بنقل التراب

من بلد الروم ليبنى ما هدم المنجنيق من جنديسابور) الكامل ج ١ ص ١٥٨ .

— راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٥١ .

فلقد اتفقت كلمة مؤلاء على أن سابور بن أردشير هو الذى بنى
جنديسابور ، وأن سابور الثانى هو الذى أعاد بناءها .
ولقد اتفق مع أوليرى غير (١) واحد من المحدثين .
ولقد ذهب الفردوسى الى أن أردشير هو الذى بنى جنديسابور .
يقول فى الشاهنامه : ثم أمر ببناء مدينة على اسم والده سابور ، وهى
التي تسمى جنديسابور ، (٢) .

ولقد جعل سابور من جنديسابور مركزا للنشاط العقلى فقد أبدى
د عناية عظيمة بجمع كتب الفلسفة لليونانيين ، ونقلها إلى اللغة
الفارسية ، (٣) وبعث رسلا إلى بلادهم ليحتملوا لها ، ثم اختارها فى مدينته
وأخذ الناس فى نسخها وتدوينها ، (٤) كذلك استقدم إليها من ذاعت شهرته
من العلماء والحكام ، وكان دورسوس (٥) السريانى واحدا من الذين قاموا
بشرح هذه الكتب وتعليمها للناس ، ولقد افتنى سابور الثانى أثر سابور
الأول فاستدعى الكثيرين من نبغوا فى الطب وتأليفه ، وحسب إليهم

(١) راجع ف . بارقولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة
طاهر ص ٤٦ .

— انظر أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٥ .

— وانظر الدكتور الشيجانى الماحى : مقدمة فى تاريخ الطب العربى ص ٥١

(٢) ٣٣ ص ٥٢ .

(٣) أبو الفدا ١ ص ٥٠ .

— رجع الفهرست لابن النديم ص ٢٤٧ ، ٢٤٨

(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ص ٣ ص ١٢٢ .

(٥) انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٤٨ .

الإقامة في جنديسابور ، وكان من بين هؤلاء طبيب يوناني اسمه
تيادورس (١) .

وعندما أغلق الإمبراطور زينون مدرسة الرما سنة ٤٨٩ م لاعتناق
أساقفتها المذهب النسطوري ، فر إلى جنديسابور جموع من فلاسفتهم
وأطبائهم فاحتضنهم أكاسرة بني ساسان .

ولم تكن لغة أهل جنديسابور واحدة ، وإنما كان فيها من يتكلم
الإغريقية ، ومن يتكلم السريانية ، وقد تكون الظروف قد اضطرت
السكان إلى استعمال الفارسية ، غير أن اللهجة السريانية أصبحت لغة
الدراسة في الطب وفي العلوم الطبيعية في مدارس الفرس تحت حكم
الساسانيين ، وكان ذلك على الخصوص في مدرسة جنديسابور ، (٢) .

ويبدو أن الحركة العلمية الدائمة التي أحدثتها أولئك الأسيرو
الرومانيون منذ أن استوطنوا جنديسابور هي التي دفعت بهذا البلد
إلى أن يصبح فيما بعد منبعاً للثقافة اليونانية (٣) ، بل إن ذلك كله كان
بمناخة الإرهاصات الأولى لمدرسة عليية كان لها شأنها في تزويد الفكر

(١) يقول ابن النديم : « إن تيادورس كان نصرانيا ، وبنى له ساپور ذو
الاكتاف البيع في بلده ، . . . ونقل له إلى العربي كتاب كئاش تيادورس »
الفهرست ص ٤٣٦ .

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأئباء في طبقات الأطباء - ص ١٠٨

(٢) الدكتور حسن عون : العرائن وما توالى عليه من حضارات ص ١٢١

(٣) راجع أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٥ .

الإنسانى بدفعات كلها قوة وحيوية ، فلقد أسست في جنديسابور (١) في عهد خسرو الأول (٥٣١ - ٥٧٩ م) مدرسة طب يونانية سورية ، وكان خسرو الأول بوجه عام ، كثير الإعجاب بالثقافة الإغريقية الرومية ، ورضب رغبة خصوصية في أن يجلب علم الاغريق إلى مملكاته ، (٢) ، وقد دفعته رغبته في أن تكون لديه مدرسة في ملكته كذلك المدرسة التي قامت في الإسكندرية ، وذاع صيتها إلى أن يرحب بالفلاسفة الذين طردوا حين أوصد جستنيان أبواب مدارس أثينا ، فأكرم وقادتهم ، وحبب إليهم الإقامة في رحابه ، وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها إلى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب . ويرى ماكس فالنابو أنه و بفضل هؤلاء العلماء نظمت المدارس الفارسية على طراز مدارس أثينا والإسكندرية ، وحملت تقاليدها ، كما أن كتباً كثيرة نقلت بواسطتهم إلى الفهلوية ، وانتشرت الثقافة اليونانية بسرعة في بلاد فارس ، (٣) .

ولقد كانت مدرسة جنديسابور في بدايتها مستشفى (٤) لمعالجة

(١) راجع ف بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزه ظاهر .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ١٠١ .

— يذكر ابن النديم أن كسرى أنوشروان جمع الكتب وألفها ، وعمل بها لنيته

كانت في العلوم وعجته ، الفهرست ص ٣٤٨ .

(٣) المعجزة العربية ترجمة رمضان لاوند ص ٢٥ .

— انظر جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند

العرب ص ٨٢ .

(٤) راجع جريجزي زيبان تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٩١ .

المرضى وتعليم صناعة الطب ، وكان الرومان أول من علم الطب بها ، ذلك لأنهم ، لما أقاموا بها بدأوا يعلنون أحداثا من أهلها ، ولم يرل أمرهم يقوى فى العلم ، ويتزايدون فيه ، ويرتبون قرايين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل (١) .

واقدر رسمت مدرسة جنديسابور خطوطا مدرسة الإسكندرية ، واستلمت خططها ومناهجها ، بل واستعارتها منها ، وأفسحت لها المجال فى دراستها ، فكان برنامج الدراسة فيها صورة لما كان عليه فى الإسكندرية . يقول أوليرى إنه ، فى أواخر عهد مدرسة الإسكندرية اعتبرت مؤلفات غالين (٢٠٠ م) حجة فى الطب ، واتخذت مختارات من مؤلفاته برنامجا رسميا لدراسة الطب ، وقد استعيد هذا البرنامج فى مدرستى الرها وجنديسابور ، وأعدت نسخ سريانية ليستعملها الطلبة الذين يتكلمون السريانية ، (٢) .

ويذكر أوليرى فى موضع آخر من كتابه مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب أن خسرو الأول جلب منهج الدراسة الإسكندرية ، فقامت الدراسة على كتب جالين ، كما كانت الحال فى الإسكندرية أيضا ، (٣) .

(١) القفطلى أخبار الحكماء ص ٩٣

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٥٠

— يقرر أحمد أمين أن ، فى مدرسة جنديسابور كانت تعلم العلوم اليونانية باللغة الآرامية ، ضمنى الاسلام ص ٢٥٥

(٣) ص ١٠١

غير أن ذلك كله لم يمنع الثنافات الأخرى من أن تجد لها مكانا وسط هذه الدراسات الجادة بما يشير إلى أن أساس التعليم في مدرسة جنديسابور كان غير مقصور على المؤلفات اليونانية والسريانية ، بل أضيف إلى ذلك تعاليم من فلسفة الهند وآدابها وعلومها ، وترجمت إلى اللغة الفهلوية ، وهي اللغة الفارسية القديمة ، (١) .

ويتضح من هذا أنه كانت تدرس (٢) في هذه المدرسة العلوم اليونانية والسريانية والفارسية والهندية جنبا إلى جنب بما يدفع إلى القول بأنه من الخطأ أن يظن أن اليقظة الفكرية في فارس قد اعتمدت فقط على المسيحيين النساطرة .

يقول أحمد أمين إن في مدرسة جنديسابور ، كانت الثقافة الهندية تدرس بجانب الثقافة اليونانية ، وكان يشترك بعض الهندود في التدريس باللغة الفهلوية ، (٣) .

ويذكر ماكس فانتساجو أن كسرى قد أمر بنقل الكتب الهندية المكتوبة باللغة السنسكريتية التي حملها إليه سفراؤه من الهند إلى اللغتين السريانية والفهلوية ، وبذلك قوبلت في جامعة جنديسابور النظريات الهيلينية الطبية بنظريات الأطباء الهندود ، وتسمى لطلاب اللغة السامية أو الإيرانية الاطلاع على مؤلفات العلم اليوناني الرئيسية وأحدث

(١) إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربي ص ١٣ .

(٢) راجع جورج كورك : موجز تاريخ الشرق الأوسط : ترجمة عمر

الإسكندري ص ٤٥ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٦ .

بمباحات العلم الهندي ، (١) .

وهكذا التقت في جنديسابور الحكمة الهندية والفارسية واليونانية
التقاءً خصباً أدى بمدربتها إلى أن اشتهرت في بلاد الفرس اشتهار
مدرسة الإسكندرية في مصر ، ومدرسة بيروت في سورية ، (٢)

ولقد أورد القفطى خبراً عن أطبائها يدل على أنهم كانوا أهلاً لما
عرف عنهم من فضل ، وما اشتهروا به من علم ، فيقول : في سنة عشرين
من ملك كسرى اجتمع أطباء جنديسابور بأمر الملك وجرى
بينهم من المسائل والتعريفات ما إذا تأملها القارىء استدل على فضلهم
وغزارة علمهم ، (٣) .

ولقد بدأ اتصال العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام . ، فلقد
تغلغل النفوذ الفارسي في الجزيرة العربية أيام كسرى الأول الذي استجاب
لنجدة اليمانيين ، فأرسل لهم حملة حررتهم من يبر المسيحيين الأحباش
سنة ٥٧٠ م ، مما كان سبباً في توثيق العلاقات الفارسية العربية ، وحينما
بعدد عظيم من جنود هذه الحملة عن طاب لهم المقام باليمن أن يتخذوا
لأنفسهم زوجات عربيات ، ثم يستوطنوا اليمن ولا يبرحوها ، ولقد
سارت الأمور إلى أبعد من ذلك إذ أن بلاد العرب الجنوبية ظلت
ولاية فارسية إلى أن فتحها المسلمون (٤) .

(١) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٢٥ :

(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١٤ .

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٣ .

(٤) راجع بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ١٤ .

والذى يهمنا أن ننبه إليه هو النتائج الثقافية التي تترتبت على هذا الاتصال ، فلتد سنحت الفرصة للطلاب العرب أن يواصلوا دراساتهم في الجامعات الفارسية ولا سيما جنديسابور . يقول ابن العبري في حديثه عن الحارث بن كده « إنه من أهل الطائف ، رحل إلى أرض فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية وقبل الإسلام ، وجاد في هذه الصناعة ، وقد أدرك الحارث الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من كان به عله أن يأتيه فيستوضحه » (١) .

كذلك عمل هذا الاتصال على تمكين العرب من فهم الحضارة الفارسية وتقديرها ، كما عمل على تعريفهم بطراز الحكم في فارس وأساليب القتال التي يجيدها الفرس ، وقد يجد الباحث في ذلك بصيصا من الضوء يفسر انتصارات العرب العسكرية بعد ذلك ، ولا شك أن هذه الخطوات كانت بمثابة إرهاصات بقيام الحضارة العربية الفارسية التي ازدهرت في بغداد بعد ذلك بقرنين من الزمان .

ولقد فتح المسلمون جنديسابور في أيام عمر بن الخطاب وعلى وجه التحديد في السنة التي فتحوا فيها « نهاوند » أي سنة ٢٩ هـ (٢) ، غير أن ابن الأثير يجعل فتحها سنة ١٧ هـ (٣) .

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٦

ه انظر القفطي : أخبار الحكماء ص ١١١

(٢) ياقرب : معجم البلدان ج ٢ ص ١٣٠

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٢٢٤

ولقد ظلت المدرسة على الرغم من الفتح العربي تولى عنايتها للدراسات الإغريقية ولاسيما مايتعلق منها بالطب .

يقول ف بارقولد « كان للمسلمين طريق آخر غير بوزنطه لتلقى العلوم اليونانية ، وهو مدرسة الطب التي بجنديسابور ، والتي بقيت قرونا عدة بعد فتح المسلمين » (١) .

ويقول خودادبخش « رغم سقوط الدولة الفارسية فقد استمرت الأكاديمية في نشاطها طوال ثلاثة قرون انقضت على نهاية الساسانيين » (٢) ويرى ماكس مايرهوف « أنه لم يكن لمدرسة جنديسابور في العصر الأموي أى أثر في قيام مدرسة طيبة ، ولو أن بعض الأطباء أتوا من هناك إلى جزيرة العرب وسوريا ، وإنما بدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة في أوائل حكم العباسيين » (٣) .

ويقول كويلر يونج « وقد تلقى المسلمون العلم اليونانى عن طريق السريان المسيحيين ولا سيما القسطنطينيين الذين كانت عاصمتهم الفكرية مدينة جنديسابور ، قام هؤلاء السريان بالترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية خلال القرنين الأولين من الإسلام ، وقد أضيف الكثير إلى هذا في القرنين التاليين » (٤) .

وعلى أية حال فلقد كانت مدرسة جنديسابور أحد الروافد التي استقى

(١) ف. بارقولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ٥٣ .

(٢) خودادبخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٧ .

(٣) من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥ .

(٤) كويلر يونج : أثر الإسلام الثقافى على المسيحية : ص ٢٤٧ .

منها الحقل العربي علوم اليونان ودراساتهم ، ولقد تمثل أثرها (١) فيما قام به أفراد أسرة بختيشوع . كان هؤلاء يتمتعون بمسكنة مرموقة لما كانوا عليه من قدرة ومهارة في صناعة الطيب مما قرب بينهم وبين الخلفاء ، فرفعوا شأنهم ، وبهذا نهأت لهم الظروف ليسهموا بجهودهم في نقل التراث اليوناني إلى العرب مما سنفصل الحديث عنه في مكانه من هذا البحث .

(١) راجع بروكلان : تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ . د. الامبراطورية الإسلامية والتحليلها ص ٣٨ .

رابعاً - الرها

في الجزء الشمالي الغربي من إقليم ما بين النهرين كانت تقوم مملكة الرها ، وفي مكان يقع شرق الفرات قامت الرها عاصمتها .

يقول جويدى ، واسمها القديم باليوناني « الروهة » ، وبه سميت عند العرب الرها ، وأما من قال إنها سميت باسم مستحدثها وهو الرها بن البلندا فوهم ، (١) .

ولقد ظلت مملكة الرها مستقلة فترة امتدت بضعة قرون قبل الميلاد وبعده ، من ١٣٢ ق.م إلى ٣٠٦ م ، ويستدل من أسماء ملوكها ومعن ووائل ، وأبجر ، على أن الأسرة الحاكمة كانت عربية .

ولقد كانت الرها من أهم مراكز اللغة السريانية ، (٢) ، ولما دخلتها المسيحية في مستهل القرن الثاني اكتسبت هذه اللغة نفوذا سما بها إلى أن ينقل إليها الكتاب المقدس ، وأن يتخذها المسيحيون لغة لهم ، وتصبح الوسيلة المعهزة عن الثقافة المسيحية .

يقول فيليب حتى ، « إن الترجمات الرئيسية للتوراة السريانية قد وضعت هناك في أواخر القرن الثاني » ، (٣) .

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٥٥

(٣) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٣٧١

ولقد كانت بيئة الرها مسرحا لثقافة فائقة في العهد الوثني ، ولئن وقفت تعاليم المسيحية حائلا دون ظهورها لأنها لم تسيرها فان ما كشفت عنه الآثار يؤكد هذه الحقيقة . كذلك تشير بعض النصوص الأدبية إلى أن الحضارة الآرامية كانت مزدهرة خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ، فن خلال استعراضنا لقصة فيضان نهر ديسان (١) ٢٠١٥ م ، فنكتشف لنا معالم حضارة على قدر محمود من الرقي ، ولقد كان من الخسائر التي سببها هذا الفيضان المروع تصدع كنيسة المسيحيين التي وصفها المراجع (٢) العربية بالعظمة والبهاء .

ولقد أقيح للسريان أن يتأثروا تأثرا مدوسا بالثقافة اليونانية . يقول الدكتور مراد كامل « من المؤكد أن الأساليب اليونانية كانت ذات أثر فيما وصلت إليه اللغة السريانية ، فقد حاكى السريان الأبوية اليونانية في بعض كتاباتهم ، وقلدوهم في طريقة استعمال الكلمات ، بل إنهم نقلوا إلى لغتهم كثيرا من الكلمات اليونانية ، كما أسسوا علم النحو في لغتهم على غرار النحو اليوناني ، واتخذوا من الصوائت اليونانية حركات يستعملونها في كتاباتهم » (٣) .

(١) انظر النص كاملا عند الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني

ص ٢٤ - ٢٦ .

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٣٤

— ابن خردادبه : المسالك والممالك ص ١٦١

— المسعودي : التنبيه والإشراف ص ١٢٤

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١٥

وبالرغم من أن تعلم اللغة كان مقصورا على أبناء الأثنياء إلا أن بعض الأدباء كانوا يولفون بها ، ثم تنقل كتبهم إلى اللغة السريانية لكي يفهمها سائر الناس ، كذلك استعمل السريان في كتاباتهم كثيرا من المصطلحات اليونانية (١) .

ولقد كان هذا التأثير نتيجة طبيعية للعوامل التي مهدت له ، وأدت إلى نتائجها ، فلقد اختلط اليونان بالسريان اختلاطا كبيرا ، كذلك انتشرت الأديرة والمدارس التي احتضنت بالأنشطة العلمية الذي يتناول العلوم السريانية واليونانية على حد سواء .

ولقد قامت هذه الأديرة بدور العوامل الفعالة في تقوية النفوذ السرياني وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية ، فيتوكل عليها طابعه . فلقد استجذبت أفكار جديدة عرض لها الشعراء في قصائدهم ، من ذلك ما قاله (٢) عدى بن زيد في دير علقمة :

نادمت في الدير بنى علقما ... مشمولة نحسبها عندما
كان ريح المسك في كأسها ... إذا مزجناها بماء السبا
من سره العيش ولذاته ... فليجعل الراح له سلبا
علقم ما بالك لم تأتينا ... أما اشتيت اليوم أن تنما

وقد أتيحت الفرصة للغة العربية لكي تصبح لغة كتابة يسجل بها تاريخ هذه الأديرة .

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٦ .

(٢) انظر لويس شيخو : شعراء النصرانية ص ٤٧١ .

وجد في صدر هيكل دير هند الكبرى ما يلي : بنت هذه البيعة
هند بنت الحارس بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك ، وأم الملك
عمر بن المنذر أمة المسيح وأم عبده ، وابنة عبده في زمن ملك
الأملاك خسرو أنوشروان ، وفي زمن إفراتيم الأسقف فالإله الذي بنت
له هذا البيت يفخر خطبتها ، ويترحم عليها وعلى ولدها ، ويقبل بها
وبقسومها إلى إبانة الحق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر
الداهر ، (١) .

كذلك وجد في صدر دير حنظلة أثر مكتوب بالرصاص في ساج
محفور يقول : بنى هذا الهيكل المقدس محبة لولاية الحق والأمانة حنظلة
ابن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياء
بالمعصية يكون ذكر الخاطيء حنظلة ، (٢) .

وهناك ملحوظ يجب أن نتنبه له ، وهو أن بقايا اللغة الآرامية
كانت حتى ذلك الحين عالقة باللغة العربية ، ومن ذلك ما لوحظ في
الأثر الذي حمل اسم امرئ القيس بن عمرو وقاريخ وقاته من اشتغال
كلماته على ألفاظ آرامية .

(١) البكري : معجم ما استعجم ص ٣٦٤

— ياقوت : معجم البلدان ٢ ص ٧٠٩

— أدى شير : تاريخ كندو وآثور ٢ ص ٢٠٩ .

— وإبانه ، وردت في الديارات للشابتي ، أمانة ، الذيل رقم ١٨

كور كيس عواد .

(٢) البكري : معجم ما استعجم ١ ص ٣٦١ .

ولقد اعترف كثير من الباحثين بالنشاط الثقافي الذي قامت به مدرسة الرها ، وأقروا جهودها في دراسة الفلسفة اليونانية بوجه خاص .

يقول الأب أ.س، مرمجي الدومينيكي ، إنها كانت مركزا عليا يتقاطر إليه المسيحيون الشرقيون من النواحي الفارسية ، (١) .

ويقول ماكس فانتاجو ، إنها كانت مركزا لمدرسة فلسفية لاهوتية ، (٢) .

ويقول جرجي زيدان إنه في مدرسة الرها ، ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس الميلادي ، (٣) .

ويقول الدكتور حسن عون إن مدرسة الرها ، بدأت مبكرة بالعناية بدراسة الفلسفة اليونانية وخصوصا فلسفة أرسطو ، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي ، (٤) .

ولقد قامت مدرسة الرها على أكتاف أساتذة مدرسة نصيبين الذين هجروها سنة ٣٦٢ م بعد سقوطها في أيدي الفرس .

وكان القديس إفرام السرياني (توفي سنة ٣٧٥ م) أحد هؤلاء

(١) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٤٨ ص ٦٧٥ ، معاهد العلم عند الرومان واليونان والسريان ، .

(٢) المعجزة العربية : ص ٢٣ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٠ .

(٤) العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٤٣ .

الأساتذة ، وكان غزير المواد بليغ الكتابة ، تلوح العذوبة والجسودة
والقداسة في قصائده ، (١) ، فكان ذلك دافعا للناس لكي يحملوه على
معاودة التعليم ، فاضطلع بإدارة مدرسة الرها .

وهكذا كان هناك « استمرار بين هاتين المدرستين ، حتى أن
مدرسة الرها ربما اعتبرت بمثابة مدرسة نصيبين » (٢) .

ويقول أدى شير « إن مر إفرام قد انطلق إلى الرها حيث فتح
مدرسة لبني جلدته عوض مدرسة نصيبين » (٣) .

ويقول أيضا « ورافق مر إفرام إلى أورهاى جميع معلمي مدرسة
نصيبين وبعض أشرافها ، وفتحوا فيها مدرسة لبني جلدتهم عوض مدرسة
نصيبين » (٤) .

ولقد أمضى مر إفرام بقية حياته في الرها ، ولم يرحلها إلا لفترات ،
كان يعود بعدها ليواصل عمله في مدرستها .

ويرى أوليري « أن هذه الفجوات التي تخللت السنوات التي أقامها
في الرها تجعل من الصعب علينا أن نعتبره منظما وموجها لمدرستها ،
وإن كان يبدو أنه كان له سلطان على مجموعة من التلاميذ التفوا
حوله » (٥) .

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ، ص ٢٨ ص ٤٨

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٧٢

(٣) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ٦

(٤) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ، ص ٢٨ ص ٤٧

(٥) Oleary : How Greek science Passed to the Arabs P. 51.

وحين حدث الانشقاق النسطوري بعد مجمع (١) أفسوس سنة ٤٣١ م
وقفت مدرسة الزها إلى جانب نسطور (٢) وأخذت بتعاليمه .
ويبدو أن كل ما كان يعلم في تلك المدرسة كان موجها بحيث
يوافى حاجات الكنيسة . (٣) .

وقرب على ذلك أن تضاعف الاهتمام بدراسة اللاهوت . ولاسيما
على عهد هيبا . وقد دعت الضرورة إلى الاهتمام بدراسة المنطق ، ولعل
هيبا يعد المسئول الأول عن إدخال هذه الدراسات عند السريان ، وقد
ظلت منذ دخولها مقدمة لازمة للدراسات اللاهوتية في الثقافة النسطورية .

وحوالى سنة ٤٣٥ أصبح هيبا أسقفا على الزها ، فولى برصوما أمر
المدرسة . وحوالى سنة ٤٥٧ م خلف نونوس هيبا على كرسي الأسقفية ،

(١) حضر هذا المجمع مائتا أسقف ، وكان المقصد فيه قورلس بطريك
الاسكندرية ؛ وكلسطوس بطريك روميه ، وبولانيوس بطريك إيليا ، فلعنوا
نسطورس وتبرأوا منه ، ونفرو ، فسار إلى صعيد مصر ، فأقام ببلاد أخميم والبلينا ،
ومات بقرية يقال لها سيفلح . المسعودي : التفتيه والإشراف ص ١٢٧ .

• أنظر أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ٢ ص ١٣٠ .

(٢) جلس نسطور على الكرسي القسطنطيني سنة ٤٢٨ م وما اشتهر به قوله :
إن في المسيح طبيعتين وأقنومين بشخص واحد ، وإن لاهوت المسيح ليس الناسوت
وصار الناسوت هيكلًا للاهوت ومسكنه ، وأن مريم لا يجوز أن تدهى أم الله ،
بل أم المسيح الإله ، لم تلد اللاهوت ، بل ولدت شخصا هو إله وإنسان معا .

• أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ٢ ص ١٢٩ .

(٣) دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٨ .

ولم يكن نونوس نسطوريا ، فعادى النساطره ، وظل الاساقفة من بعده على هذا العداء إلى أن استطاع الأسقف سيروس إغراء الإمبراطور زينون بخلق المدرسة ، وكانت حجته أن معلميا كانوا نسطوريين في آرائهم ، (١) .

وما ان أغلقت المدرسة حتى احتضن (٢) أكاسرة بنى ساسان أساقفتها إذ التجأ بعضهم لمدينة جنديسابور ، وهناك وجدوا من عطف الأكاسرة ما شجعهم على بناء البيمارستانات وتعليم الطب ، فبلغوا في ذلك شأوا بعيدا .

(١) دى يور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٦

(٢) انظر غوستاف لوبون : محاضرة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ٤٣٤

خامساً : نصيبين

عرفت مدينة نصيبين بعدة أسماء ، فتسمى صوباً (١) ، ويسمىها اليونان أنطاكية ميكدونيا . وكانت تحتل موقعا هاما في المنطقة التي ضمت إلى روما عام ٢٧٨ م ، وبذلك أصبحت إحدى مدن الحدود بين المملكتين الرومانية والفارسية . ما جعلها تدعى مدينة النجوم ، كما وصفت بأنها ترس كل المدن المحصنة ، ورئيسة ما بين النهرين ، ورئيسة المغرب وأم العلوم ، (٢) .

ولقد انتشرت المسيحية في نصيبين سنة ٣٠١ م تقريبا (٣) ، وكثرت فيها المدارس والكنائس والأديرة .

ومن أديرتها دير قني (٤) أسسه مرمارى في المائة الأولى ، وأنشأ فيه مدرسة عرفت باسمه ؛ ومن أنشأ في الدير متى بن يونس . ومنها دير الرعفران (٥) ، ودير مرأوجي ، ودير مريوحنا .

وكان بابو أول أساقفتها ، ثم تولى كرسي الأسقفية من بعده

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٥

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤١

(٣) Oleary : How Greek science passed to the Arabs p 47 .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٨٧

— انظر الشاهبشي : الديارات ذيل رقم ٢٠

(٥) الشاهبشي : الديارات ص ١٢١ ، والتظهير ذيل رقم ١٤ ، ١٥

لكور كيسي عراد ،

مر يعقوب (١) سنة ٣٠٩ ، ولم يسكن السكان كلهم مسيحيين ، وإنما كانت هناك كثرة من اليهود تعيش فيها ، وكان هؤلاء أكاديمية يهودية أنشأها يودا بن باثيرة ، وقد تعرض هؤلاء لكثير من الإيذاء حين استولى الرومان على المدينة ، ويبدو أن ماقأسوه من اضطهاد كان ذا دخل في وضع نهاية لمدرستهم ، إذ أننا لانجد لها ذكرا بعد ذلك .

وقد بنى مر يعقوب كنيسة فاخرة في نصيبين ، كما حضر مجمع نيقية سنة ٣٢٥ مع إفرام تلميذه ، ووقع على قراراته . وقد أورد (٢) أدنى شير شيرتا مفصلا بكتبه .

وفي أعقاب هذا المؤتمر أسس إسطاثيوس (٣) أسقف أنطاكية مدرسة فيها تشبه مدرسة الإسكندرية ، وقد تبعه في ذلك البطريك يعقوب ، فأسس مدرسة مماثلة في نصيبين ، وكان هدفها الخاص هو نشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية لأن لاهوتهم ونظام كنائسهم كانا دون المستوى الذي تقبله الكنيسة الكاثوليكية ، ولقد وكل مر يعقوب أمر الإشراف على المدرسة إلى تلميذه مر إفرام الذي اختصه بعنايته ورعايته ، فبلغت على يديه حدا عظيما من الشهرة . ولقد عرف مر إفرام بمؤلفاته الأدبية (٤) وبخاصة الأشعار الصوفية التي تناول فيها كثيرا من المعاني الدينية ، والفلسفية .

(١) أدنى شير يحمل وفاته سنة ٣٢٨ م « مدرسة نصيبين » ص ٦ .

(٢) أدنى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤٢ .

(٣) Oleary : How Greek science passed to the Arabs . P. 47.

(٤) راجع أدنى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة ص ٧ .

ولما انتصر الفرس على حملة جوليان سنة ٣٦٣ م ، وقعت نصيبين في أيديهم ، فأحسن شابور معاملة النصارى فيها ليجذبهم إليه ، ولكن يبدو أنهم ظلوا على ولائهم للرومان ، ولم يدينوا له بالولاء ، ولقد شامت الظروف أن يكفر يوليانوس ملك الروم في تلك الاثناء بالديانة المسيحية ، فيستاء لذلك نصارى نصيبين ، وبخاصة مر إفرام ، وقد دفعه ذلك إلى أن يؤلف (١) جملة قصائد يذم فيها يوليانوس ، ويشتم على شابور ، غير أن شابور كان قد حفظ له موقفه في الدفاع عن المدينة حين الاستيلاء عليها ، فظل على كراميته له ، فخرج مهاجرا إلى الرها ، ويذهب أدى شهر (٢) إلى أن مر إفرام عاش في نصيبين حتى سنة ٣٦٩ م ، ثم ذهب إلى الرها .

وكيفما كان الأمر ، فإن خروج مر إفرام من نصيبين وضع نقطة النهاية في حياة مدرستها .

مدرسة نصيبين الثانية

رأينا في الحديث عن مدرسة الرها أنه حين وقع الانشقاق النسطورى بعد مجمع أفيسوس سنة ٤٣١ م (٣) وقف أساتذتها إلى جانب نسطور ، فتمرضوا بذلك إلى كثير من الأذى والاضطهاد .

(١) راجع أدى شهر : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) أدى شهر : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤٧ .

(٣) انظر المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٢٧ .

و انظر أيضا أدى شهر : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٣٠ .

ولما تولى فونوس كرسى الأسقفية فى الرها سنة ٤٥٧ م ضاعف من قسوته عليهم ، فهاجروا إلى بلاد الفرس .

ولقد كان برصوما مدير مدرسة الرها عن نالهم الأذى لأنه كان زعياً نسطوريا عنيدا (١) ، فقصد نصيبين مع من هاجر إليها . وهناك قدمه الكاثوليك إلى البلاط الفارسى ، (٢) وأوضحوا للملك كيف عوامل الذمطرة فى الرها ، وأستاذوه فى أن يسمح لهم بأن يعيشوا فى حمايته .

ولما أعلن الإمبراطور زينون مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م لم يجد من كان فيها من العلماء والتلاميذ أمامهم إلا أرض فارس يقصدونها ، وقد استقر جماعة منهم وعلى رأسهم فرساي (٣) ، قوفى ٥٠٧ م تقريبا ، فى نصيبين بعد أن استبقاهم برصوما ، وحجب إليهم العيش فيها ، وطلب منهم أن يفتتحوا مدرسة (٤) نسطورية يستمضون بها عن مدرسة الرها (٥) .

(1) Oleary ; How Greek science passed to the Arabs P. 57.

(2) Oleary : Arabia before Muhammad P 134.

(٣) يرى هذا الرأى أدى شير فى كتابه مدرسة نصيبين ص ١١ وفى تاريخ

كلدو وآثور ص ٢ ص ١٣٨ .

— غير أن أولبرى يذهب إلى أنه هاجر إلى نصيبين مع برصوما .

— ويتفق معه فى ذلك الدكتور مراد كامل فى « تاريخ الأدب السريانى »

ص ١١٩ .

(٤) أدى شير مدرسة نصيبين ص ١١ .

(٥) أدى شير ؛ تاريخ كلدو وآثور ص ٢٣ ص ١٣٨ .

وهكذا بعثت مدرسة الرها من جديد ، وأخذت تعمل على نشر التعاليم
النسطورية في الجوف القارسي .

ولقد قام برصوما بمجهود كبير في الفترة التي بين (٤٥٧ - ٤٨٤ م)
ليحقق ذلك . يقول المسعودي (إن مقالة نسطورس كانت درست ،
فأحياها برصوما مطران نصيبين ، ودعا إليها المشاركة من النصارى ،
فدابوا بها . (١))

ولقد وكل برصوما مهمة الإشراف على المدرسة لترساي الذي كان
ذا أثر ملحوظ في كثير من تلاميذه . يقول عنه أ . س . مرمرجي
الدومينيكي : إنه كان عالما كبيرا ومعلما جليلا ، (٢) . ويبدو أن شهرة
ترساي لم تنحصر في نطاق مهنة التدريس ، وإنما تعدت ذلك إلى مجال
الأدب والفن . يقول الدكتور مراد كامل : إن أصحاب ترساي من
النساطرة الذين تذوقوا شعره ، وأعجبوا به ، كانوا يلتقبونه قيثارة روح
القدس ، (٣) .

وقد ولي أمر المدرسة اليشاع برقوقزباي بعد ترساي ، وكان ممن
ماجروا من الرها أيضا ، وقد ظل يشرف عليها مدة سبع سنوات ،
وكان نشاطه الأدبي متمدد النواحي ، يقول أدى شير إنه وضع
تأليفات شتى ، وكتب ضد المجوس ، وضد الهرطقة ، وفسر كل الكتاب

(١) المسعودي : التقييه والإشراف ص ١٢٩

(٢) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٤٨ معاهد العلم عند الرومان واليونان

والسريان ص ٦٧٧

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١١٧

المقدس ، (١).

ثم خلفه إبراهيم ويقال إنه زاد في مبنى المدرسة ، أما عن أعماله الأدبية ، فله شروح على بعض أسفار العهد القديم ، وأجوبة في الرد على بعض المسائل اللاهوتية ، (٢) . وجاء من بعده يشوع يب ، وكانت مدة إدارته للمدرسة من ٥٦٩ م إلى ٥٧١ م ، (٣) . ثم حنا الحذيتي ، وقد بقي لنا من كتاباته لوائح مدرسة نصيبين التي وضعها ٥٩٠ م (٤) ، وقد حاول أن يعلم الطلاب صورة معدلة من المذهب النسطوري (٥) ، فأحدث بذلك إنقساماً بين معلمى المدرسة ، وساءت أحوالها .

ويرجع النجاح الذى حققته مدرسة نصيبين إلى النظام الحسن الذى سارت عليه ، فلقد نظم لها برصوما لائحة لمواد الدروس يجرى عليها المعلمون والتلاميذ . (٦) كذلك كان لها قوانين تضبط حياة التلاميذ فيها ، فنجدهم قد التزموا بيمين على العزوبة ، والإقامة الدائمة ، ومراعاة القوانين والاجتهاد وهذه الأيمان الرهبانية فرضت عليهم مدة إقامتهم فى المدرسة فحسب . (٧)

-
- (١) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ١٤
 - (٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٥٣
 - (٣) المرجع السابق ص ١٥٨
 - (٤) المرجع السابق ص ١٥٩
 - (٥) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٨
 - (٦) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ٢٣٨
 - (٧) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٨

وكانت قوائم المدرسة تسمى التلاميذ إخوة و وكان عليهم أن يسيروا سيرة صالحة لا عيب فيها ، وكان لهم زى خاص ، وكل من كان ينقطع عن الدروس والكتابة ، ولا يحضر ساعة التدريس والألحان الطقسية ، كان يوبخ توبيخا شديدا . (١)

وكان رئيس المدرسة يسمى الربان ، وقد كان هذا أيضا لقب الملائنة أو المعلمين أو الدكاترة ، وكان ينوع خاص لقب المفسر للكتب المقدسة . (٢) ولم يكن يقوم بهذا العمل أحد سوى الرئيس : لذلك كان يسمى المفسر أيضا .

وكان من وظيفة الرئيس أن يتسلم دخل المدرسة ، وينفق عليها ، ولم يكن ينتخب لهذا المنصب إلا من كان مستقيا ، مقتدرا على إدارة أمور المدرسة ، منصفا بين الإخوة بدون محاباة . (٣)

ثم يأتي بعد الرئيس المقرئ والمهجم ، وكان المقرئ يعلم صناعة النحو ، بينما كان المهجم يعلم التهجئة والقراءة الفصيحة للمبتدئين ، ثم يلي هؤلاء الكاتب ، وكان يعلم التلاميذ الخط .

ولقد تلاققت في نصيبين الثقافتان اليونانية والسريانية ، وتعاونتا معا في شرح التعاليم المسيحية ، وصبغها بلون خاص ، ذلك لأن الثقافة التي

(١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية - ص ٣١

(٢) أ. س. مرمرجى الدومينيكي : معاهد العلم عند الرومان واليونان والسريان مجلة الكتاب عدد ديسمبر ١٩٤٨ ص ٦٧٧

(٣) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ٥٥

انتقلت من الرها على أيدي برصوما ومن تبعه من أهلها ، كانت مكونة (١) في معظمها من أعمال أرسطو في المنطق مع كتاب ايساغوجي لفورفوربوس ، وقد بقي هذا المنطق دائما مقدمة ضرورية للدراسات اللاهوتية في كل التربية النسطورية . ولم يقف الأمر عند حد هذه المعارف ، وإنما حمل هؤلاء الأساتذة معهم طب اليونان والثقافة المسيحية ، ولعل هذا هو ما حمل بعض الباحثين من المحدثين إلى القول بأنه في نصيبين كانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية . (٢)

ولكن يبدو أن العناية كلها كانت موجهة إلى خدمة اللاهوت المسيحي فقط تحقيقا للفرض الذي قامت المدرسة من أجله .

ولعل مما يشير إلى ذلك أن نظم المدرسة في عام ٥٩٠م كانت تقضى بالألا تقرأ الكتب المقدسة مع الكتب التي تعالج أمور الدنيا في مكان واحد (٣) .

ولقد ظلت المدرسة قائمة حتى أيام الفتح الإسلامي ، ولكن يبدو أنها لم يكن لها أي تأثير مباشر في العرب ، وربما كان ذلك لأنها كانت لاهوتية محضة ، ولو أنها كانت مسئولة بطريق غير مباشر عن تعريف المدارس النسطورية الأخرى في جنديسابور وسيلوقيا بمنطق أرسطو ، أما الأثر الذي لحق العرب فقد جاءهم بصفة رئيسية عن طريق جنديسابور كما سنرى .

(١) Olesry : How Greek science passed to the Arabs. P.61.

(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٢١

(٣) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ص ١٨٩

الباب الثالث

جهود السريان في الحضارة العربية
قبل الإسلام

جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام

لم يعط العرب تاريخهم في الجاهلية الأهمية التي يستحقها ، وقد تكون (١) علة ذلك أنهم حين أسلموا أرادوا أن يحسوا مفاخر الجاهلية ليقوموا مجد الإسلام مكانها ، وأن اعتمادهم على المشافهة في نقل الأخبار ، وتأخر عصر التدوين قد فتح كثيرا من الثغرات للتزويد في الأخبار ، كذلك كان للتراث الثقافي الذي دخل البيئة الإسلامية مع من أسلم من اليهود والمجوس أثره في إشاعة المبالغات في أخبار العرب قبل الإسلام .

ولقد تلمذ المؤرخون إلى هذا الأمر . هذا ابن خلدون يقول : كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، (٢) .

ويستطرد ابن خلدون فيضرب الأمثلة التي تؤيد هذه الدعوى ، ثم يعقب على من زعم أن التباينة ملوك اليمن كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب بقوله : إن هذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريضة في الوهم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة ، (٣) .

(١) انظر جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٩ ، ١٠ ط مصطفى محمد .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإنه في وسعنا أن نتعرف على مدى الأثر
السرياني في الجانب الحضارى من حياة العرب قبل الإسلام .

في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد قامت دولة الأنباط العربية ، (١)
وامتدت من خليج العقبة إلى دمشق ، (٢) ، وشملت معظم شمالي جزيرة
العرب ، وكانت عاصمتها سلع أو البتراء .

ولقد كان العرب في البتراء يستعملون الآرامية في الكتابة مع
أنهم كانوا يتكلمون العربية ، (٣) . يقول بروكلان ، إن الكتابات
المختلفة التي نقشت على قبور سلع تدل على أن الأنباط قد اصطنعوا في
هذه النقوش اللغة الآرامية التي كانت لغتهم الرسمية حتى في ظل
الآخمينيين ، (٤) .

ويرجع جويدى هذا الأمر إلى أن الأحرف الهجائية لم تكن قد

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٨

— اقرن ذلك بما أورده المسعودى في التنبيه والإشراف ص ٦٨ ، ١٥٠ ،

١٥٦ ، ١٦٨ .

— واقرنه بما ذكره البيرونى في الآثار الباقية ص ٥٩

— وراجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٣٥

(٢) Oleary, Arabia before Muhammad P. 82

(٣) Oleary : Arabia before Muhammad P. 187

— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٤

— انظر أيضا خليل يحيى نامى : أصول الخط العربى ص ٧

(٤) بروكلان : العرب والإمبراطورية العربية ص ٢٠

استنبطت بعد عند العرب ، (١) فلما ظهرت الحاجة إلى الكتابة عند عرب الشمال ، كان من الطبيعي إذن أن يأخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها الأنباط ، (٢) .

ولقد ذكر خليل يحيى نامى أن الكتابة العربية هي عبارة عن تطور الكتابة النبطية ، وأنها تحمل نفس ميزاتها وسماتها . (٣) .

ولقد ظلت دولة الأنباط قائمة حتى د قطنى عليها الإمبراطور الرومان تراجان سنة ١٠٦ ميلادية ، وأقام مكانها لإقليم رومانيا عربيا ، (٤) .

وفي تدمر نجد أن موقعها في أطراف البادية التي تفصل الشام عن العراق مكنها من أن تعمل في التجارة ، وتربح أموالا طائلة . وكانت

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٨
— راجع الدكتور فيليب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١
ص ٤٢٧

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٨٣
— انظر خليل يحيى نامى : أصل الخط العربى من ص ٢٥ - ٨٨
— انظر أيضا الدكتور حسن أحمد محمود : حضارة مصر والشرق القديم
ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

— اقرن ذلك بما ذكره المسعودى من أن عبد منعم بن ارم بن سام بن نوح وولده أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم وهي حروف أ ، ب ، ت ، ث ، وهى التسعة والعشرون حرفا .

(٣) خليل يحيى نامى : أصل الخط العربى ص ١٠١ .

(٤) O'Leary : Arabia before Muhammad .P 82.

صنائع اليونان وفنونهم قد دخلت أبواب تدمير و شيد فيها من المياكل
والمنازل والملاهي والقبور ما يستدعي العجب العجيب ، ومع ذلك لم
تزل تدمر تحفظ سنتها الوطنية ، وعوائلها الحصوية ، وبقيت آدابها ولقنها
آرامية ، (١) ولكن على الرغم من أن هؤلاء الآراميين المتأثرين بالحضارة
الإغريقية كانوا يؤلفون أغلبية السكان في تدمر إلا أن السيادة فيها
كانت للعرب ، (٢) لذا فإن ما ارتقت إليه تدمر و بين ذرى الثقافة التي
يستطيع العرب من أهل البادية أن يبلغوها إذا ما تسنت لهم الميئات ، (٣)
ولم تنحصر فعالية السريان في الحضارة النبطية والتدمرية فقط ،
ولأنها اتضحت آثارهم بشكل ملموس في - حضارة الفساسة والمناذرة ، وقد
خرج هؤلاء العرب من اليمن (٤) ، وشاءت لهم الظروف أن يستقروا

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ١٧٥ .

— انظر جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام من ص ٩٨ إلى ١٠٥ .

(٢) بروكلان : العرب والإمبراطورية العربية ص ٢١ .

(٣) الدكتور أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ١ ص ٤٠ .

(٤) انظر في أصل موطنهم ، وقفاصيل خروجهم ، واندفاعهم في اختيار

الإماكن التي توافق قدراتهم وأمزجتهم .

— ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ١٣ ، ١٤ .

— للمسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٦ .

— اليعقوبي : ج ١ ص ٢٣٦ .

— أبو الفداء : ج ١ ص ٧٢ - ٧٦ .

— الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٦٨ ، ٦٠ .

— الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٤١ .

حيث أقاموا ، ويكاد المؤرخون يتفقون على أن الفسائيين ينسبون إلى
ماء غسان (١) ، ولكنهم يختلفون في تحديد مكانه ، فيرى بعضهم أنه
باليمن (٢) بينما يرى الآخرون أنه بالشام (٣) .

وقد ظلت دولة الفساسة مدة أربعائة سنة تقريبا منذ القرن الثالث
الميلادي حتى ظهور الإسلام (٤) .

ولقد كانت عاصمة الفساسة بصرى (٥) ، وأتاح لهم موقع إمارتهم
أن يكونوا ورثة للحضارات التي شهدت منطقة الشام ، كما قدر لهم

(١) انظر المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٧

— الفلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٩

— الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٧١

— المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٤٧

— محمد كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ٦١

(٣) أبو الفدا : ج ١ ص ٧٦

— الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٤١

— الدكتور أحمد الحوفي : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ص ٧٧

(٤) راجع في ذلك تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ٧٦ ، وقارنه بما جاء في العقد

الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٨٨ ، والمرب قبل الإسلام لمرجى زيدان

ص ٢٠٨ — ٢١١

(٥) أحيانا يفهم من قول الشعراء أن جولان أو الجاييه عاصمتهم ، وأحيانا

يذكرون بخلق بالقرب من دمشق على أنها هي العاصمة . أحمد أمين فجر

—

الإسلام ص ٢٢١

أن يتلقوا تأثير السريان عن قرب ، إذ نقل إليهم اليصاغبة (١) الثقافة اليونانية ، ونشروها بينهم . ولقد بنى ملكهم جفنة بن عمرو بالشام عدة مصانع ، كما بنى ابنه عمرو بن جفنة عدة أديرة ، منها دير حالي ، ودير أيوب ، كذلك شيّدوا القصور والقلاع (٢) ، كما كثرت لديهم البيع والكنائس (٣) .

والواقع ، أن الفساسة قد نقلوا كأسلافهم الانبساط بعض عناصر أساسية في الحضارة السورية إلى أقربائهم الأصليين في الجزيرة العربية ، وبخاصة الحجاز مهد الإسلام في المستقبل ولقد نقلوا أيضا بعض الأفكار المسيحية التي كان لها تأثيرها مع بعض أفكار أخرى على الإسلام ، وهذا كذا وودت الحضارة السورية الإسلام ببعض العناصر المبدعة (٤) .

ولقد اصطنع الفرس إمارة الحيرة ليكفوا بها من يليها من برادى العرب (٥) ، وليستعينوا بأبنائها على

== يذكر فيليب حتى أن بصرى كانت العاصمة الدينية ، أما العاصمة السياسية فكانت الجابية في منطقة الجولان . كما كانت أيضا بعض الزمن في جلق .

٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩

(١) راجع في ذلك الأستاذ حامد عبد القادر : الإسلام ... ظهوره

وانتشاره في العالم ... ص ٥٦ .

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت الخوى ج ٤ ص ٩٥

(٣) الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٤٥ .

(٤) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٤٢٥

(٥) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ١٥٨ .

— انظر شاهدا على ذلك في قصة تولية النعمان بن المنذر . الأغاني ج ٢ ص ٢٢

==

— انظر تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٤٢

حراسة (١) قوافلهم التجارية التي كانت تنقل في الجزيرة العربية ،
ولاسيما إلى سوق عكاظ .

ولفظ الحيرة (٢) سرياني معناه الحصن أو المعقل حول الخندق .
وكان قيامها سنة ٢٤١ م (٣) . وقد سكنتها ثلاث طوائف ، هي تنوخ
والعباد والأحلاف ، وكانت المسيحية قد انتشرت في الحيرة منذ
الآجيال (٤) الأولى ، واعتنقها العباديون (٥) وهم قبائل شتى من بطون
العرب .

ويبدو أن العنصر العربي في الحيرة كان يشمل الأرستقراطية
الحاكمة ، أما جملة الأهلين فقد كانت من الآراميين السريانيين الذين
كانوا مسيحيين من قبل ، ويبدو أن هؤلاء العرب الذين تقبلوا المسيحية

== الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٢٤

- جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٩٠

(١) الدكتور أحمد الخولي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٥٠

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٢

- اقرن ذلك بما جاء في معجم الاستعجم ص ٣٠٢ ، وفي مختصر كتاب البلدان
ص ١٨١ حيث يذهب ابن الفقيه إلى أن « ربما لما سار إلى موضع الحيرة أخطأ
الطريق ، وتغير هو وأصحابه ، فسميت الحيرة » .

(٣) الطبري : ج ٢ ص ٣٧

(٤) انظر أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢٠٧ تجد ثبوتا بأسماء

بعض أساقفتها الأوائل .

(٥) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢١٩

- جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

اعتنقوا المذهب النسطورى (١) .

ولقد دافع الفرس عن النسطرة ، ومدوا لها يد المساعدة عما أمدها
بمزيد من القوة .

يقول أوليرى (٢) : إن النسطرة كانوا في جنوب العراق بالقرب
من الحيرة أقرباء بوجه خاص ، وعندما جاء الفتح الإسلامى كانت
الحيرة كلها على وجه التقريب مسيحية نسطورية ، ولم تكن نعمة ترجمة
عربية للكتاب المقدس ، أو للطقوس الكنائسية قد وضعت لأن اللغة
العربية لم تكن قد أصبحت بعد لغة كتابة وأدب ، ولقد استعملت
الآرامية المسيحية التي عرفت بالسريانية في الأغراض الأكاديمية ، وقد
حدث هذا تماما عندما استعمل عرب البتراء الآرامية في الكتابة مع
أهم كانوا يتكلمون العربية ، ولقد ترتب على هذا أن عرب الحيرة
كانوا يستعملون لغتين ، وأنه قد وصل إليهم قدر عظيم من العلم والفلسفة
واللاهوت الهليني عبر اللغة السريانية .

ويخبر أوليرى في بيان نتائج سيادة اللغة السريانية بين عرب
الحيرة فيقول : لما أراد القرآن استعمال كلمات جديدة عند الحديث عن

(١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية إلى العرب ص ٩٩

— راجع بروكلان (ولقد اعتنى ألباع النخمين المذهب النسطورى
المسيحي فترة من الزمان في حين تعلقوا هم أنفسهم تعلقا شديدا بمعتقداتهم
الوثنية ، فلم يخرج عليها أحد منهم غير النعمان الثالث (٥٨٠ — ٦٠٢ م)
الذى اعتنق النصرانية ظاهرا على الأقل ، العرب والامبراطورية العربية ص ٢٤
(٢) انظر أيضا : جامدهيد القادى : الإيلام ظهوره وانتشاره في العالم ص ٥٢ ، ٥٣

الأفكار اللاهوتية والفلسفية التي لم تكن معروفة في اللغة العربية ، غالبا ما استعمل كلمات مستعارة من الآرامية ، وفي وسعنا أن نفترض أن مثل هذه الكلمات قد دخلت القساموس العربي من وسط الحيرة وعلى أيدي المعلمين النسطوريين ، (١)

والحق أن اللغة العربية حتى عهد امرئ القيس بن عمرو في أوائل القرن الرابع الميلادي لم تكن قد تخلصت بما علق بها من بقايا اللغة الآرامية ، والدليل على ذلك ما لوحظ في الأثر الذي حمل اسمه وتاريخ وقائه ، إذ عثر بين كلماته على ألفاظ آرامية .

ولقد قامت في الحيرة بيع كثيرة وأديرة (٢) ، من ذلك دير هند (٣) الكبرى الذي يعرف بدير هند الأرقم ، ودير هند الصغرى ، ودير علقمة (٤) ، ودير حنظلة بن عبد المسيح ، ودير مارة مريم ، ودير

(1) Olcary, Arabia before Muhammad P.186

(٢) المسعودي : مروج الذهب ١٣ ص ٢٩٧

(٣) نظر البكري : معجم ما استعجم ٣٦٤

— معجم البلدان ٢٣ ص ٧٠٩

— أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ٢ ص ٢٠٩

— الذيل رقم ١١ لكور كيس هواد في كتاب الديارات للشابشتي

— من دفن في هذا الدير يشوع يب رئيس مدرسة نصيبين (٥٦٩ — ٥٧١م)

الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١٥٨

(٤) ياقوت : معجم البلدان ٢٣ ص ٦٨١

— البكري : معجم ما استعجم ١٣ ص ٣٦١

— ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١٣ ص ٢٢٧

قرة ، ودير ابن مزعوق ، ودير بنى مرينا ، ودير اللج .
ويهمنا هنا أن نذكر أن هذه البيعة والأديرة قامت بدور العوامل
القمالة في تقوية النفوذ السرياني وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية فيترك
عليها طابعه .

لقد مهدت السبيل أمام اللغة المربية لكي تصبح خالصة ، وتصلح
لأن تكون لغة كتابة ، ذلك لأن الذين بنوا هذه الأديرة سجلوا
تاريخها بهذه اللغة .

وجد في صدر هيكل دير هند الكبرى زوجة المنذر بن امرئ
القيس بن ماء السماء ، ٥١٥ د - ٥١٦ م ، أثر يقول « بنت هذه البيعة
هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر ، الملكة بنت الأملاك ، وأم الملك
عمرو بن المنذر ، أممة المسيح ، وأم عبده ، وابنة عبده ، في زمن ملك
الأملاك خسرو أنوشروان وفي زمن إفرائيم الأسقف ، فالإله الذي
بنت له هذا البيت ، يقفر خطيئتها ، ويقدم عليها وعلى ولدها ، ويقبل
بها ويقومها إلى إبانته الحق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر
الداهر » (١) .

ووجد في صدر دير حنظلة أثر آخر مكتوب بالرصاص في ساج
حفور يقول « بنى هذا الهيكل المقدس محبة لولاية الحق والأمانة حنظلة

(١) البكري : معجم ما استعجم ص ٢٦٤

— ياقوت : معجم البلدان ص ٧٠٩

— وردت في الديارات وأمانة ، انظر الذيل رقم ١٨ كوزكيس عواد في

كتاب الديارات للشايشي

— انظر أدي شير : تاريخ كادر وآثور ص ٢٠٩

ابن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياء
بالعصمة يكون ذكر الخطاطى - منظلة (١) .

ولقد ساعد شيوخ التدوين في الحيرة على وضوح تاريخهم يقول

(١) البكرى : معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٦١

— يدين العرب للحيرة بمعرفة فنها في الكتابة ، ذلك الفن الذى انتقل من الحيرة
والأنبار إلى الحجاز بعد قرن ، بعد أن أسس الخليفة عمر مدينة الكوفة وأطلق
اسم الكوفة على هذا الفن . خودا يخش . الحضارة الإسلامية ص ١٤٨ .

— اقرن ذلك بقول إقليدس يوسف داود ، إن الزمان الذى فيه بدأ العرب
أن يكتبوا لم يعلم بتأكيد ، ولكن الكتابات الكثيرة المنقوشة على الأحجار التى
توجد فى بلاط حران والنواحي الشمالية من جزيرة العرب اللواتى أهاليهن جميعا
كانوا عربا ، والى هى مكتوبة باللسان السريانى والقلم السريانى ، وذلك منذ نحو
القرن الأول بعد المسيح إلى نحو القرن الخامس بعده ، تشهد لنا أن العرب
الأوائل لم يكونوا يكتبون بلغتهم العربية الآماز التى كانوا يريدون بقاءها لكن
باللغة السريانية ، اللعنة الشبية فى نحو اللغة السريانية ص ١٤٤ ، ١٤٥

— راجع قول ف بار تولد ، هناك كتب بقيت من القرن السادس تدل على
أن اللغة العربية أيضا استعملت لغة الكنيسة ، ولكن لم يثبت إلى الآن وجود
أدب نصرانى عربى فى العصر الذى قبل الإسلام ، د تاريخ الحضارة
الإسلامية ، ص ٤٢

— يرى خليل يحيى نامى أن تطور الخط النبطى وانتقاله إلى الكتابة العربية لم يتم
في الحيرة لأن الحيرة كانت قبل الإسلام مثقفة بالثقافة السريانية لأنها كانت تدين
بأنصرانية ، وكان الخط السريانى هو الخط الرسمى فى تلك الأنحاء لأنه كان ترجمان
المسيحيين وقلمهم الدينى فى ذلك الزمان ، أصل الخط العربى ص ١٠٢ ، ١٠٣

الطبرى (١) ، وكان أمر آل نصربن ربيعة ، ومن كان من ولاية ملوك
الفرس وعملهم على نزع العرب الذين هم ببداية العراق عند أهل الحيرة
منبعا لما كان مشتبها عندهم في كنائسهم وأشعارهم ، وقد حدثت عن
هشام بن محمد الكلبي أنه قال : إنى كنت استخرج أخبار العرب ، وأنساب
آل نصربن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى ، وتاريخ
سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها .

ويقول بروكلمان (٢) ، وكان محمد بن السائب يعنى عناية خاصة
بأنساب القبائل العربية ، وقد حاول أن يحدد سنى حكم النخمين
في الحيرة من النقوش التى على قبورهم ، والتي كانت لا تزال مصونة
لعهده .

ومن الباحثين (٣) من لا يسلم بما يذكره الطبرى ، ووجهه أن رواية
ابن الكلبي لا يعتمد عليها لأنه منهم فيما يرويه .

ولقد كان النفوذ الذى تمتع به أهل الحيرة بين العرب دوره في
التمهيد للتأثير النسطورى ، ويصور لنا الجاحظ هذا النفوذ في قوله (٤)
و جاء الإسلام ، وملوك العرب رجلان ، غسانى ولخنى ، وهما نصرايان ،
رقدت العرب تدين لهما ، وتؤدى الإتاوة إليهما .

(١) الطبرى : ٢٨ ص ٣٧

(٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٨ الإمبراطورية الإسلامية
والمحلاها ص ٢٩

(٣) الدكتور شوق حنيف : الفن ومذاهبه في النثر العربى ص ١٦

(٤) الجاحظ : المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٥

ويذكر أوليرى أننا إذا ما سلطنا بأن (١) و هرب الحيرة كانوا من صميم العرب ، وليسوا مجرد فرع منهم ، وأنهم في القرن السادس قد تمت لهم السيادة الاسمية عليهم جميعا ، فإننا نستطيع أن نقول إن التأثير (٢) النسطورى قد نفذ إلى العرب كلهم ، هذا فضلا عن أن الإرساليات النسطورية قد تغلغلت في الجزيرة العربية ، كذلك كان هناك طريق تجارى ربط الحيرة بنجران ، وقد أكد ابن هشام (٣) أن كنيحة نجران المسيحية أسسها سوري يسمى فيميون ، ولمسه كان أحمد المبشرين النسطوريين سلك هذا الطريق التجارى إلى جنوب الجزيرة العربية . .
وعلى هذا فإن في وسعنا أن نعتبر نجران مستعمرة منغزة للكنيسة السورية (٤) . .

(1) Oleary : Arabia before Muhammad P. 137.

(٢) راجع قول الجاحظ ، وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها . .
المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٥

(٣) يقول ابن هشام ، كان أهل نجران يؤمنون على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم . . . فقال لهم فيميون ، إنما أنتم في باطل . . . ثم دعا الله عليها . . . فجعلتها من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ، السيرة النبوية ص ٢٢ ، ٢٤ .

— انظر ابن خلدون : ديوان العرب ص ٢٣ ص ٥٩ .

— انظر الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ص ٧٦ .

(4) Oleary : Arabia before Muhammad P. 143

وقد أوردى مسيحيو نجران ، واضطهدهم (١) ذو نواس الذي كان قد
تهود سنة ٥٣٤ ميلادية ، فاستعانوا بقيصر الروم (٢) ، فكتب إلى ملك
الحبشة يأمره بنصرهم ، فاستولى هذا على اليمن ، وتولى الأمر فيها لإبرهة ، وبني
القليس (٣) وهي كنيسة ضخمة ، ليصرف إليها حج العرب ، (٤) غير
أن هذه الكنيسة لم تأخذ ما كان يرجى لها من مكانة في نفوس العرب (٥)
ولقد كان الأقباط مسيحيين على المذهب اليقوني ، ويقبسون
الإسكندرية ، ولذا ، يبدو مؤكداً أن مسيحية نجران كانت أيضاً
يقونية ، ولكنها جاءت في بداية الأمر من الحيرة ، فيجب أن تتوقع
عناصر نسطورية أيضاً بالمثل .

(١) انظر قول الله تعالى وقتل أصحاب الأندلس... سورة البروج : الآية ٤

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية - ص ٣٨ .

— انظر الدينوري : الأخبار الطوال ص ٦٣ .

— انظر ابن خلدون : ديوان المبر - ص ٦٠ .

(٣) انظر وصفها عند أبي الفرج الأصفهاني : الأغاني - ص ١٠٠ ص ١٣٥

— البكري : معجم ما استعجم - ص ٣٦٧

— ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار - ص ٣٥٩

— راجع قصيدة الأعشى رقم ٢٢ ص ١٧٢ من ديوان الأعشى شرح الدكتور

محمد حسين .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية - ص ٤٤

— انظر ابن الأثير : الكامل - ص ١٧٨

— انظر الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٢٧

(٥) راجع ما يذكره الدينوري في هذا الصدد : الأخبار الطوال ص ٦٤

— انظر ابن خلدون : ديوان المبر - ص ٦١

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه ، كان لحسير لغة تختلف عن لغة سائر العرب في إصطلاحاتها وأكثر الفاظها ، ولاسيما كتاباتها ، فإن خطهم كان يعرف بالقلم المسند ، وهو مخصوص بهم ، وكانت أقرب لغة عربية إلى السريانية على ما يظهر من آثار كتاباتهم بالمسند (١) .

ولقد انتقل الخط الحيرى إلى الحيرة ، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش ، يقول ابن خلدون فيما يتحدث به عن الكتابة ، إن القول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ، ولقنتها الحيرة من التبابعة وحير هو الأليق من الأقوال . (٢) .

ولقد كان من الطبيعي أن تتلون الحياة الفكرية في هذه البيئات التي غلب عليها النفوذ السرياني بأون خاص ، لذا ليس غريبا أن نجد آثارا للتعالم المسيحية في الفكر العربى بخاصة فيما يتصلام مع ما كانت عليه العقلية العربية .

يقول ابن عسجد ربه (٣) ، إن العرب ما كان لها قط نتيجة في صناعة ، ولا أثر في فلسفة إلا ما كان من الشعر ،

ويقول حاجى خليفة (١) ، وعلمهم الذى كانوا يفتخرون به علم لسانهم ،

(١) دائرة معارف البستانى : المجلد السابع : مادة حير ص ٢٤٢

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤١٨

— ناقش خليل يحيى ناهى هذا الرأى بإفاضة في مجلة كلية الآداب : الجامعة

المصرية الجزء الأول سنة ١٩٣٥ ص ٤ ، ٣

(٣) ابن عسجد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٥

(٤) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٢

ونظم الأشعار ، وتأليف الخطب ، وعلم الأخبار ، ومعرفة السير .
وإذا كانت هذه هي مبلغ ثقافات العرب قبل الإسلام ، فإن التأثير
المسيحي الذي حملته السريان معهم يتضح في شعر الشعراء ، ومواظف
الرهبان ، وفي الدور الذي مهد السبيل أمام الدعوة الإسلامية .

وقد ذكر نيكلسون الدور الذي قامت به هذه الأديان في التمهيد
للإسلام ، فعرض تأثير الأديان التي تلاقحت في الجزيرة العربية ، والتي
ترجع أصولها إلى كتب سماوية في الشعراء أمثال زهير الذي عرض للكلام
عن اليوم الآخر والحساب ، والذي ركز المسؤولية فيه حول الفرد
لا القبيلة على عكس ما كان مقررا بين العرب ، وشاعرا بين قبائلهم ،
ثم قال (١) : « إن هذا كله يساعدها على أن تنتهي إلى هذه النتيجة ، وهي
أن الدين والحضارة في أثناء القرن السادس الميلادي ، كانا يحدثان
أثرهما في الجزيرة العربية تاركين ما كان عليه عامة العرب الأوثان ،
ومهدين الطريق لظهور الإسلام . »

ويرى بروكلمان أن من العرب من اعتقد قبل الإسلام « بإله هو
خالق السكون ، هذا الإله هو « الله » الذي لم ينقل العرب فكرته عن
اليهود والنصارى كما يظن كثير من الباحثين (٢) . »

(١) Nicholson : A literary History of the Arabs P. 140
London 1907.

(٢) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية : تاريخ الشعوب الإسلامية

ولقد كان هؤلاء مجموعة مستتيرة، جرت على دين إبراهيم وإسماعيل عليها السلام .

يقول الألوسي : إن الموحدين هم من استبصر ببصيرته ، فاعترف بوجود الله وقوسيده ، ولم يدرك دعوة محمد (ص) ، بل بقى دغلي الأصل فطرته ، ونظر بعين بصيرته ، فلم يغير ولم يبدل ، وهم البقيايا من كان على عهد إبراهيم وإسماعيل عليها السلام ، (١) .

والواقع أن العرب كانوا على دين إبراهيم ، ثم غير عمرو بن لحي (٢)

== ليقولن الله سورة لقمان: الآية ٢٥ .

— « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم »
سورة الزخرف: الآية ٩ .

— وقد أكد العرب أيمانهم بالحلف بالله : راجع المفضليات ص ٦٩ ،
٧٣ ط . السندوني .

(١) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص ٢٥ ص ١٩٦

(٢) انظر تاريخ أبي الفدا ص ٨٨

— راجع قول الرسول (ص) في شأنه « أول من بحر البهيرة ... ابن الكلبي
الأصنام ص ٥٨

— اقرن هذا الرأي بقول ابن الكلبي « كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تنظيما للحرم ، وصباية بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه ، وطافوا به كطوافهم بالسكبة تيمنا منهم بها . وصباية بالحرم ، وحبا له ... ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، فاستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره . فعبدوا الأوثان ، الأصنام ص ٦

هذا الدين وبديله ، ويعمهم على عبادة الأصنام التي جلبها (١) من الشام ،
والتي صنعها لهم (٢) .

ولقد حدث ذلك قبل الإسلام بنحو أربعائة سنة (٣) في أيام سابور
ابن أردشير ، ولا ريب أن ذلك كله يدل على أن عرب الشمال اتخذوا
الأصنام في عصور متأخرة ، وأنهم كانوا في ذلك متأثرين بالوثنية
اليونانية والبريانية ، ويؤيد ذلك أن كلمة صنم مأخوذة من كلمة آرامية
سريانية هي صيام ، (٤) .

ولقد زاد عمرو بن لحي في التلبية فقال : لبيك اللهم لبيك ، لبيك
لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك (٥) .

(١) اليعقوبي ١٣ ص ٢٩٥

— انظر سيرة ابن هشام ١٣ ص ٧٩

— انظر المسعودي : مروج الذهب ١٣ ص ٢٦٨

— ذكر البيروني في الآثار الباقية أن المقصود مدينة البلقاء بالشام ص ٣٤ .

— وتبعه أبو الفدا في تاريخه ١٣ ص ٨٠

(٢) يرى البيروني أن عمرو عمل للعرب صنمين ، هما أساف ونائلة . الآثار

الباقية ص ٣٤

(٣) ابن الكلبي : الأصنام ص ٧

— يرى خودا بحث أن بداية ظهور إلحاد العرب مازالت سرا غامضا ،

الحضارة الإسلامية ص ٢٦

(٤) حامد عبد القادر : الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم ص ٢٨

(٥) انظر تاريخ ابن عساکر ٦٣ ص ٢٠

— انظر اليعقوبي ١٣ ص ٢٩٦

ولقد شاعت عبادة الأصنام بين العرب لأسباب كثيرة ، غير أنها لم تستطع أن تزيل فكرة وجود إله واحد خلق هذا الكون .

يقول صاعد الأندلسي (١) : « جميع عبدة الأوثان من العرب موحدة لله تعالى ، وإنما كانت عبادتهم لها ضربا من التسدين بدين الصابئة في تعظيم الكواكب ، والأصنام الممثلة بها في الهياكل ، لأعلى ما يعتقد الجهال في ديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأي صاحب فكرة ، ولا دان به صاحب عقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى : « ما عبدتم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، ومع ذلك بقيت هناك قلة موحدة على دين إبراهيم عليه السلام ، ذكروا أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يجلس إلى السكبية ، ويقول : « يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الرجوه إليك لعبدتك ، ولكني لا أعلم ، ثم يسجد على راحته .

ولقد وقعت هذه النفسية القلقة حائرة أمام عبادة الأصنام والتعدد الذي تقوم عليه .

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور (٢)

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٩

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٤١

— انظر تاريخ بن عساكر ج ٦ ص ٣٣

— أورد هذه الآيات لويس شيخو في كتابه « شعراء النصرانية » مع اختلاف

في بعض اللفاظ وتغيير في التركيب .

عزت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتيها ولا صنمى بنى عمرو أوزر
ولا هبلا أدين وكان ربها لنا فى الدهر إذ حلنى يسير

ولقد أدى تمدد الآلهة إلى ضعف قوة كل من هذه الآلهة المتعددة ، (١) وكان من العرب من أدرك (٢) هجر الأصنام وضعفها ، بل إن منهم من كان يأكلها عندما يستشعر حاجته إلى الطعام .

نخلص من ذلك إلى أن عبادة الأصنام لم تستطع أن تملأ وجدان العرب الدينى مما جعلهم يعسائون حالة من القلق ، وكان وجود المسيحية من العوامل التى أبرزت هذه الحالة ، وأدت إلى تحويل أفكارهم من الوثنية إلى أفكار اسمى ، (٣) .

ويبدو أن أفرادا ممن كانوا ينزعون إلى التوحيد قد اعتنقوا المسيحية ، فأمية بن أبي الصلت (٤) كان قد نظر فى الكتب وقرأها ،

(١) خودابخش : الحضارة الإسلامية ص ١٠

(٢) راجع قصة الأعرابي الذى رمى صنما يقال له سعد بحجر لأنه فرق لإبله

عندما أدناها منه ليلتمس بركته . ابن الكلبي : الأصنام ص ٣٧

— انظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٨٣

— البيروني : الآثار الباقية فى القرون الخالية ص ٢١٠

(٣) خودابخش : الحضارة الإسلامية ص ٣٠

(٤) انظر طرفا من أخباره فى تاريخ ابن عساکر ج ٢ ص ١١٥ - ١١٩

— الأصفهاني : الأغاني ج ٤ ص ١٣٩ ط . دار الكتب

— الألوسي : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ٢٥٣

وليس المسرح تعبدا ، وكان من ذكروا إبراهيم وإسماعيل والخليفة ،
وحرم الخمر ، وشك في الأديان ، (١) .

وهو الذى يقول (٢)

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا
شريفا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صورا

ومن الشعراء الذين لونت المسيحية شعرهم عدى بن زيد ، وكان
أهله نصارى نزلوا فى الجانب الشرقى من الحيرة ، وقد نال قسطا من
التعليم هناك لأنه لا يكون من أفهم الناس بالفارسية ، وأفصحهم
بالعربية . وكان أول (٣) من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، وعلى
الرغم من اعتناقه المسيحية ، فإنه حلف برب مكة ، كما حلف بالصليب حين
سجنه النعمان .

سمى الأعداء لا يألون شرا على ورب مكة والصليب (٤)

ولم يقف أثر التعاليم المسيحية عند حد الشعراء المسيحيين وحدهم ،

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الأغانى ج ٣ ص ١٨٠ ط . ساسى

(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٤٣ .

— ابن عساكر : التاريخ الكبير ج ٣ ص ١٢٣ مطبعة روضة الشام .

(٣) انظر الأغانى ج ٢ ص ١٨ ط . ساسى

(٤) أبو الفرج الأصفهاني : الأغانى ج ٢ ص ١١١ ط . دار الكتب

والرواية هنا مناسبة للمعنى ، ولقد وردت فى طبعة ساسى «عليك» ج ٢ ص ٢٣

كذلك وردت فى شعراء النصرانية «عليك» ص ٤٥١

ولمّا تعدهم إلى غيرهم ، فقد نزع النابغة إلى التدين ، وكان الأعشى (١)
يأتى العباديين نصارى الحيرة ، ويشترى منهم الخمر ، فأخذ عنهم مذهب
القدرية ، كذلك حلف بمسوح الرهبان وبالكعبة .

فإني وثوبى راهب اللج والتي بناها قسوى والمضاخى بن جرم (٢)
لكن جد أسباب العداوة بيننا لترتحلن منى على ظهر شيهم

والباحث لا يكون مقاليا إذا ذكر أن الفوضى الدينية قد أدت إلى
اضطراب أفكار العرب ، مما أثار فيهم اللفتة إلى النجاة .

وقد شاء الله أن يبعث الرسول مبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله
يأذنه وسراجا منيرا ، فألشأ من القبائل المفككة أمة مسلمة .

وقد أخطأ بعض المفكرين في رده قواعد الإسلام إلى أصول مختلفة
من الأديان التي انتشرت قبله .

يقول ماكس فانتاجو ، إن محمدا أقام الإسلام ديننا موحدا ،
به عناصر متنوعة من الأديان المحلية إلى جانب المزيج الذي اقتبسه من
المسيحية واليهود ، (٣) .

ويقول خودابخش المؤرخ الهندى ، ورأينا أنه لا يضير محمدا
بصفته نبيا أن يفتبس آراء معاصريه ، فليس هناك مصلح أو سياسى ،
أو حاكم يمكنه أن يخلق نظما جديدة ، بل عليه أن يساير الظروف (٤) ،

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني - ٨ ص ٧٦ ط . ساسى

(٢) ديوان الأعشى ص ١٢٥ ، المطبعة النحوذجية

(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٣٦ ، ٣٧

(٤) خودابخش : الحضارة العربية ص ٨

ولقد فات هؤلاء أنه إذا كان هناك شيء من اليهودية أو المسيحية جاء في الإسلام ، فرد ذلك أن هذه الديانات السماوية إنما تمثل التدرج الديني ، ومراتب السمو في العقيدة ، وهي في قوانينها ، وفرائضها الملزمة ، إنما تمثل المنهج الديني المتكامل الذي أخذ الله به عباده حتى يصل بهم إلى أعلى درجات الإيمان واليقين .

والباحث لا يريد أن يخوض في جزئيات الشريعة أو تفاصيل الفقه ليثبت أنها إسلامية بحتة ، فضلا عن أن ذلك أمر مقرر ، كما أن إدارة الحديث في مثل هذا الموضوع سيخرج به عن النطاق الذي رسمه لنفسه ، وألزمها به ، وإنما يود أن يشير إلى أن رسالة محمد (ص) نزلت في الوقت الذي يتطلبها ، ويعين على تقبلها ، إذ سرعان ما عم ضوؤها أرض العرب كلها ، ثم شاء الله للفيض الإسلامي أن ترتوى به القلوب فيما وراء هذه الرمال ، ففتحت الحيرة سنة ١٢ هـ (١) ، وفتحت دمشق سنة ١٤ هـ (٢) وقضى على الفرس في موقعة القادسية والمدائن سنة ١٦ هـ (٣) كذلك فتحت مصر سنة ١٩ هـ (٤) .

وإذا ما حاولنا أن نجد تعليلاً لانتشار الدعوة الإسلامية على هذا

(١) انظر تفاصيل الفتح عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٠ ص ١٦٤

— البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٥

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٢٧

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ ، ٢٧٣

— جوهرى : موقعة القادسية سنة ١٥ هـ

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٩

النحو السريع الذي تمت به ، فإننا سوف نتبين أن اجتماع قلوب المسلمين على إقامة دينهم (١) ، ونشره بين الناس كافة ، قد أزال الخلاف من صدورهم ، فاتحدت وجوههم ، وعندئذ لم يقف شيء في سبيلهم . هذا إلى ما كان من صمودهم في القتال ، واستماتتهم فيه لإيمانهم بأنهم على الحق ، ولرغبتهم الفائقة في الفوز بما أعدّه الله للشهداء .

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٥٧ ؛ ١٥٨ ط مصطفى محمد .

رَبَابِى الرَّابِع

نشاط السريان فى ظل الاموريين

الفصل الرابع

الاسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الإسلامية

كان الطابع العربي هو الذي يميز الدولة الإسلامية في عهد الامويين (١) ٥٤١ - ٥١٣٢ هـ ، ولذلك جرت نظرة العرب إلى الأماجم في ظلهم على أنهم أقل منهم مرتبة ، فاستملوا عليهم ، وأنفوا أن يزوجهم (٢) بناتهم ، كما لم يكن عمل رضى من العامة أن يتول أحد من يشك في لسبهم منصبا رئيسيا (٣) .

ولقد دفع هذا المسلك الكثيرين من المعجم إلى الدخول مع المسلمين في دينهم لكي يعزوا (٤) بهم فلقد رأوا أن أم مصدر لشعور المسلم بتفوقه هو يقينه الذي لا يقبل الجدل بأن دينه خاتم الأديان ، وأنه هو

(١) راجع قول الجاحظ ، إن دولة بن مروان كانت عربية أعرابية ، وفي أجناد شامية ، البيان والتبيين ، ٣ - ص ٢٩٧ .

(٢) انظر قصة تفرقة إبراهيم بن المغيرة وإلى المدينة بين أحد الموالى وزوجته العربية ، وما أنزله به من عقاب لإقدامه على ذلك . الأغاني ، ١٤ - ص ١١٤ ط . ساسي .

(٣) راجع ما وجه إلى خالد بن عبد الله القمري من هجاء حين ولي على العراق . البيان والتبيين ، ٢ - ص ٢٧٤ ، ٣ - ص ٢٩٣ .

— انظر دائرة معارف البستاني : مادة خالد ، ٧ - ص ٣٢٨ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٩ .

الحق الذي لاحق سواء (١) .

وليس من شأننا هنا أن نستقصى الدوافع التي دفعت بالعرب إلى سلوك هذا المسلك ، فالإسلام قد جعل من مبادئه أن أكرم الناس عند الله أتقاهم ، وأن المؤمنين إخوة غير أن النسوة الذي يجب ألا يفوتنا ذكره ، هو أن المعاملة التي لقيها الأماجم في عهد الأمويين بخاصة ، كان مردها في كثير من الحالات إلى تعصب العرب لجنسهم ، واستشعارهم لشوة الظاهر ، وعزة المنتصر ، هذا إلى ما كانوا يطؤون عليه صدورهم من حقد قديم على الفرس .

ومما يكن من أمر ، فقد ظلت الدولة الأموية عربية المظهر . ولم يبعد الخلفاء الأمويون عن هذا الطابع إلا في المجالات التي دفعهم الظروف إليها دفعا . لقد كانوا يحدد إرساء أسس جديدة لدولة ناشئة على نهج لم يكن للعرب به عهد من قبل . وكان يودهم أن يستكملوا لها كل مقوماتها ، ولم يكن بد إذن من أن تواجههم مشكلات نتيجة لما يمارسون من نشاط جديد . كل ذلك جعلهم يلجأون إلى ذوى الخبرة فيما جد من أمور ، فهم لم يناقضوا أنفسهم حين استمدوا العون من كل قادر عليه من أهل الثقافات اليونانية والسريانية بما أتاح للعقلية العربية أن تفتح بلفاح على جديد حمله إليها السريان على وجه خاص .

يقول ج (٧) . ليفي دلافيدا ، في هذا العصر بدأت الثقافة المسيحية

(١) جوستاف جروبيوم : حضارة الإسلام ص ٥٥

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثاني ص ٦٠٢

في صبغتها الأرمينية البوزنطية تقرب إلى المسلمين ، وهذا هو الذي انتهى إلى تكوين المدينة الخاصة التي امتاز بها الإسلام .

وهم لم يناقضوا أنفسهم حين استجابوا لدواعي قوميتهم المريية ، فاندفعوا يبغون السلامة للسان العربي مما جعلهم يعيشون بأبنائهم إلى أعماق البادية لكي (١) يتعلموا هناك المريية الخالصة الفصيحة ، وهم يتشددون في هذا الأمر حتى يرى أحد (٢) خلفائهم أن ابنه ليس أهلا لتولى أمر العرب لأنه لا يحسن النحو .

وهكذا يبدو أن الأمويين اهتموا بكل ما من شأنه أن يجعل الدولة في عهدهم عربية خالصة ، فكان إنتاجها العقلي يتكون في غالبته من الشعر ، وهو في معظمه من النوع البدوي القديم ، ولئن دخل على بعضه تعديل تتضح فيه نفحة البلاط الحيري والغساني إلا أن ذلك كله كانت تغلب عليه الروح الجاهلية ... غير أن ثقافة الإغريق وطلهم لم يجدا لها مكانا في شعر هؤلاء ، بل يلوح أنها كانا شيئا غير ذي معنى لديهم (٣) .

(١) راجع ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥ ص ٢٩٣

— فيليب حتى : تاريخ العرب ١٥ ص ٢٤٤

— الدكتور احمد شلبي : تاريخ القوية الإسلامية ص ٨٢

(٢) كان عبد الملك بن مروان يعاتب ابنه الوليد على عدم إحسانه النحو فكان يقول له : لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ودخل بيتا ولم يخرج منه مئة أشهر ، ثم خرج وهو أجمل منه يوم دخله ، فقال عبد الملك قد أعذر ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١١٦

(٣) Oleary : How Greek Science Passed to the Arabs p. 146

ولقد توفرت في الدولة الاموية كل العوامل التي تساعد على قيام مراكز ثقافية تعنى بالنشاط العقلي ، وتمثلت هذه المراكز بصورة واضحة في كل من البصرة والكوفة ، فلم تكف تلك المراكز على خروج العرب من صجراتهم حتى أصبح العراق مركزا لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر ، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربي الجديد من قوة فنية ، وعزم متوقد ، تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق المنشأة حديثا مثل البصرة والكوفة (١) .

حقيقة إن عمر بن الخطاب (٢) كان قد أشار بينهما ليكونا تمسكات لجند المسلمين إلا أنها سرعان ما أصبحتا من أهم مراكز الثقافة بعامة وما يمس الجوانب اللغوية منها بخاصة .

يقول ف بارثولد ، صارت الكوفة والبصرة مركزين نشيطين للحياة العلمية ، ولم يسكن في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) مدينة

(١) نجلاء عز الدين : العالم العربي ترجمة محمد عوض ابراهيم ص ١٢
(٢) جساء في مختصر تاريخ الدول لابن العبري ، أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الأشعري فبنى مدينة البصرة ، ص ١٧٤

— ذكر أبو الفدا أن ذلك كان سنة ١٤ هـ ، وقيل سنة ١٥ هـ ، ص ١٦٨
— غير أن أوليري يقول ، إن الذي أسس البصرة هو عتبة بن عروان في سنة

٦٣٥ ، ٦٣٧ ، p. 148 How Greek science passed to the Arabs

— ذكر ابن خلكان أن الكوفة بنيت في الإسلام على ظهر الخيرة سنة ١٧ هـ ،
بناها عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبي وقاص . وفيات الأعيان ج ١ ص ٨٣

تستطيع منافستها، ففيها وضعت علوم العقائد والفقہ من قبل الأعاجم
« غير العرب » الذين أسلموا وتلاميذهم ، ثم نشأت في كلتا المدينتين
مدرسة لنحويين واللغويين ، فكانت مجادلات ومناقشات بين البصريين
والكوفيين ، (١) .

ويقول دي بور : إن المقر الأكبر للثقافة العقلية كان في البصرة
والكوفة حيث التقى عرب و فرس ، ونصارى ومسلمون ، ويهود وجوس ،
وهنا حيث ازدهرت التجارة والصناعة ، يجب أن نلتصق بواكير العقل
الديوي ، تلك البواكير التي نشأت من مؤثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة
اليونانية في دورها الشرقي (٢) .

ويشير المستشرق جب إلى الأثر السرياني في بيئة البصرة بقوله « ولما
كانت مدينته البصرة في واقع الأمر هي المركز الرئيسي للدراسات
الأدب العربي في مبدأ الأمر ، فهذا يشير إلى أن أحد العوامل التي
عملت على تشجيع تلك الدراسات كانت أكاديمية جنديسابور ، ومع أن
تلك الأكاديمية وجدت في الأراضى الفارسية ، فلم تكن مركزا للدراسات
الآرامية ، وكان أغلبية قوادما من العلماء من النسطوريين (٣) .

ويذهب الأستاذ حامد عبد القادر إلى أن الثقافة السريانية قد وفدت إلى
الكوفة والبصرة من الحيرة ، لا من جنديسابور ، فيقول « وقد استقى

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حرة طاهر ص ٧١

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية : ص ٧

(٣) انظر الدكتور صلاح الدين المنجد : المنتقى من دراسات المستشرقين

هـ. أ. ر. جب : خواطر في الأدب العربي ص ١٣٠

الخيريون معارفهم اليونانية من اللغة السريانية ، وحلت الكوفة والبصرة في العصر الإسلامي المزدهر على الحيرة (١) .

أما أوليري فيرى أن البصرة قد أعجبت بالثقافة الأخرية الوافدة إليها من الحيرة على احتمال ، ومن جنديسابور على احتمال آخر (٢) .

ولقد توفرت عدة أسباب ضاعفت من الاهتمام بالدراسات اللغوية في كل من البصرة والكوفة ، من ذلك ما وجد من الحوة الواسعة التي كانت تزداد اتساعا يوما بعد يوم ، فتنصل بين لغة القرآن الفصيحة ، ولغة الكلام اليومية التي كانت تتخلطها السريانية والفارسية وغيرها من اللغات واللهجات ، (٣) .

كذلك في وسعنا أن نلاحظ أيضا أن إحسان الموالى بالضعفة جعلهم يدركون الحاجة إلى تعلم اللغة العربية ودراستها ليقفروا بأنفسهم على مرامي القرآن ومعانيه ، وليتنذروا من إجادتهم لها وتفوقهم فيها سبيلا يقرهم من الخلفاء والحاكمين ، ويصل بينهم وبين المراكز العالية في الدولة .

كذلك نجد أن النظر في القرآن (٤) والحديث أيضا كان يستوجب أن يتقدمه الاهتمام بالعلوم العربية لأنه متوقف عليها ، وهي علم اللغة والنحو والبيان ، ونحو ذلك ، وهذه العلوم النقلية كلها محتصة بالمدلة

(١) الإسلام : ظهوره وانتشاره .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإخرية إلى العرب - ترجمة تمام حسان ص ٢١٩

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠١

(٤) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١

الإسلامية ، ولقد كان العرب يأخذونها بسليقتهم وفطرتهم قبل الإسلام ، ولم يكونوا في حاجة الى أن يفصلوا القول فيها حينذاك لانهم لم يقدر لهم في معظم أحوالهم أن يفارقوا صحراءهم ، أو يخاطبوا غيرهم من الأمم ، فلما أسلموا وتجاوزوا بالإسلام حدود بلاديتهم ، ودخل معهم فيه من ليس منهم ، تسربت اللفظة الأعجمية إلى كثير من الألسن ، وسرى اللحن بين الناس عما دفع البعض إلى أن يقول ذهب لغة العرب لما خالطهم العجم ، وتوشك إن تطاول عليها الإمان أن تضيع (١) .

كل أو تلك آثار حمية العرب ، فأخذوا يهتمون بكل ما يتصل بلغتهم حفظاً لها من التغيير ، وعونا على إستجلاء معاني القرآن الكريم الذي نزل بها ، فقد قيل عن أبي الأسود الدؤلي أنه أخذ النحو عن علي بن أبي طالب وكان لا يخرج شيئاً أخذه عنه إلى أحد حتى يبعث إليه زياد أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ، ويعرف به كتاب الله ، فاستمعاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ : إن الله يرى من المشركين ورسوله بالكسر ، فقال ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد ، فقال أفعل ما أمر به الأمير ، فليبتغي كاتباً لنفسه يفعل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس . . . فقال أبو الأسود إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوجه على أعلاه ، وإن ضممت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف ؛ وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف ، (٢) .

(١) أبو الأسود الدؤلي : النظر دائرة معارف البستاني المجلد الاول ص ٧٨٨

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٦٦ ط . الاستقامة

ومها كان حظ هذه الرواية من الصدق فإنها قد دل على تبلبل الألسنة ،
ورغبة أولى الأمر في المحافظة على سلامة اللغة .

ولئن كان ظاهر الأمر يشير إلى أن عنصر الأصالة العربية هو
الذي يغلب على هذه الدراسات التي تدور في محيط اللغة ، إلا أنه في
الإمكان تبين الآثار الأجنبية فيها ، فها نحن أولاء نرى أن هذا
النشاط الذي حفلت به البيئة الإسلامية ، والذي قام ليصون اللغة العربية
من عجمة الذين بدأوا يتكلمون بها من غير أهلها ، وليفيد منه العرب
أنفسهم لأنهم خالطوا الأعاجم فتغير لسانهم ، وليخدم النص القرآني
حتى لا يزل أحد في فهمه ، ما هو إلا صورة مما فعل السريان قبل ذلك
في لغتهم ، فلقد ظلوا يستغنون بالأحرف دون الحركات برهة طويلة
من الزمان ، ثم قصروا ، وانقلوا إلى لغتهم الكتب المقدسة خصوصا
الأناجيل ، وأرادوا ضبط كل كلمة منها عند قراءتها في الكنائس والبيع
احتراما من الخطأ ، فإن الخطأ في تلاوة مثل هذه الكتب المحترمة فاحش ،
وقد يستلزم ما يوم الكفر والزندقه في قارئها ولما لم يكن
للسريان بد من الحركات ، ولم تكن لهم سبيل إلى تغيير الأحرف المعهودة
المستعملة ، أو إلى زيادة أخرى ، اضطروا إلى اختراع علامات صغيرة
لا تتأثر بها الأحرف ولا يغير شكلها ، فاقصروا على رسم نقطة أو
سطيرة صغيرة فوق الحرف أو تحته أو في وسطه ؛ وبقيت الأحرف كما
هي ، فلم يغيروا أحرفا ، بل زادوا نقطا أو سطيرات ولقد حدا
اليونان حذوم في ذلك ، فلما جاء العرب انتفعوا بذلك وأتقنوه
وأصلحوه (١) .

(١) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٣ ، ٨٤

يقول أحمد أمين ، كان طبيعياً أن يفشأ علم النحو في العراق لأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام ، وكان لها قواعد نحوية ، فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصاً واللغتان من أصل سامي واحد ، لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريين أولاً ثم الكوفيين ، (١) .

ويلاحظ أنه في المصاحف القديمة من الجيل الثاني للهجرة تدل النقط من فوق الحرف على الفتح ، ومن تحته على الكسر ، وفي وسطه على الضم ، ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليه الآن ، (٢) .

وتبدو ملامح التأثير السرياني بشكل واضح في دراسات اللغويين ، فالخوارزمي في مفاتيح العلوم يعقد فصلاً (٣) في وجوه الإعراب على مذهب فلاسفة اليونانيين ، يقول فيه ، الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين وناقصة ، وكذلك الضم وإخوته المذكورة ، والكسر وإخوته عندهم ياء ناقصة ، والفتح وإخوته عندهم ألف ناقصة .

وإذا كان المسلمون قد تأثروا بالسريان فيما اتخذوه لضبط لغتهم وإعرابها ، فإن السريان كانوا وراء المنهج الذي اتخذته النحاة لكسبهم ، ذلك أنهم كانوا يشتغلون بالفلسفة والعلوم اليونانية في مدرسة جنديسابور ، ولقد أدى ذلك إلى أن أصبحت المعارف اليونانية منتشرة

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٢٠

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

ص ٨٤

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٣١ ط . الشرق

بين الفرس شائعة فيهم ، وابن خلدون في مقدمته يذكر أن أصحاب صناعة النحر و كسيوييه والفسارسي من بعده ، والزجاج من بعدهما ، كلهم صجم في أنسابهم ، وإنما ربوا في اللسان العربي ، فاكتسبوه بالمربي ، ومخالطة العرب ، وصيروه قوائين وفنا ، (١) .

لذلك ليس غريبا أن نراهم عند وضعهم كتبهم المشهورة يسلكون مسلكا فلسفيا يتعلق بالمنطق ، ومن ذلك أن أرسطاطليس قال إن الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء ، إذ لا بد لكل شيء مخلوق أن يكون واقعا في زمان من الأزمنة ، وفي مكان من الأماكن ، فهما كالوعاء ، وهذا أصل تسميه النحويين للفعول فيه ظرفا ، أي وعاء ، ومن مذهب أرسطاطليس في المنطق تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وتعريف الكلام عند نحاة اليونان هو تركيب كلمات تنفيذ معنى تاما ، وهذا مماثل تعريف الكلام عند نحاة العرب ، إذ الكلام عندهم لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليه ، والصرف عند اليونان هو تحويل آخر الكلمة من حرف إلى آخر ، وبضاهية تعريف الإعراب عند نحاة العرب ، ويقال للصرف عند اليونان كلسيس ومعناه إمالة الشيء أي صرفه (٢) .

ولعلنا بعد ذلك نستطيع أن ننظر في قول أحد الباحثين المحدثين ، ولولا علمنا أن الذي ترجم كتاب الشعر هو متى بن يونس المتوفى سنة ٢٢٣ هـ ، ويحيى بن عدي سنة ٢٦٤ هـ ، لانتهمنا النحاة بالنقل عن

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٤ ط . مصطفى محمد

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

« أرسطو » ، لأن النحاة اشتغلوا بتدوين علمهم قبل ظهور الكتاب بأكثر من قرن من الزمان ، بل استوى نحوهم علما قائما بذاته قبل ظهور كتاب الشعر بأكثر من قرن (١) .

• • •

وبعد أن بينا العوامل التي أعانت على فعالية التأثير السرياني في الدراسات اللغوية العربية ، ومظاهر هذا التأثير ، نمود لما ذكرناه آنفا من أن الأمويين كانوا يصدد بناء ملك وإقامة دولة ، لذلك لم تكن هذه العلوم وتلك الدراسات التي عرضنا لها بمسئبة أن توفر لهم مطالبهم . كذلك لم يكن رجالها بقادرين على أن يكفروم حاجاتهم ، وإذا كانت القبائل قبل الإسلام تتخذ من الشعراء أعوانا على حفظ كيانتها ، فإن الظروف قد تغيرت في العصر الأموي ، وأصبحت الدولة في حاجة إلى صنف آخر من الناس يوطد لها أركانها ، كذلك إذا كانت ثقافة كل عصر عليها أن تلبى مطالبه ، وتشبع حاجاته ، فإن ثقافة العصر الأموي قد قامت بدورها ، حقيقة إنهم لم يفرغوا للشئون العملية بقدر ما فرغوا للامور السياسية إلا أننا نصادف من بينهم من لم يدخر وسعا في سبيل تشجيع الحركة الأدبية ، والتقدم العلمي . وإذا لم يقدر لتتائج جهودهم أن تظهر بجلاء ، فإن هذا يرجع لعدم استقرار الامور طوال أيامهم ، وقرب العهد بالعصر الجاهلي . وإذا كان المتفق عليه « أن التقدم في المدنية يخطر بالتدرج خطواته ، فإنه قد خطا الأولى منها الأمويون ، وخطا الخطوات الأخرى العباسيون (٢) » ، وعلى

(١) الدكتور ابراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ١١٧

(٢) راجع قصة الأدب في العالم . تصنيف أحمد أمين وزكي نجيب محمود

ذلك فالازدهار الذى أصابته الحياة العلمية فى العصر العباسى قد وضعت أولياته على أيام الأمويين ، ذلك لأن الظواهر الحضارية دائما فى حاجة إلى فسحة من الوقت لكي تخرج ثمارها .

وهكذا استجلبت البيئات العلمية علوما كانت حتى ذلك الحين تكاد تكون غريبة على العقلية العربية بما دفع إلى تسميتها بالعلوم الدخيلة . ولقد كان السريان هم القنطرة التى عبرت عليها هذه العلوم لتصل إلى العرب ، وساعد (١) على ذلك هذا التزاوج السريع الذى حدث بين العرب وبين الأمم المغلوبة بعامة . ولقد تم هذا التزاوج فى البيئات التى تبنى بالروح الهلينية بدافع من مساواة الإسلام بين معتنقيه ، إذ لم يكن ثمة تعصب أو انحياز ، وإنما كانت المساواة ، وكان التسامح هما الأساس الذى بنى عليه الإسلام معاملته لأهل الأديان الأخرى ، وقد كان لذلك أثره فى استثارة همهم ، وتحريك رغبتهم فى المشاركة فى ألوان النشاط المختلفة التى تدور حولهم .

يقول جوستاف جرونيياوم ، وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى بواكير صدر الإسلام مرضية مقبولة ، (٢) .

ويقول ف . بارتولد ، وكان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمنة الأولى لحاجة الفاتحين إلى هذا العنصر المسيحى

(١) انظر الدكتور على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ص ٥٠ ، الطبعة الأولى

(٢) جوستاف جرونيياوم : حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ص ٢٣٣

المتفوق على العرب حضارة (١) .

ولقد كان انتقال الخلافة من الحجاز إلى سوريا من العوامل التي فتحت الباب أمام السريان ليسهموا بجهودهم في بناء الدولة الإسلامية . كما كان لهذا الانتقال أثره في تطور الحضارة ، فلقد وجد العرب أنفسهم حكاما لمنطقة كانت ولاية رومانية خاضعة لقانون روماني كامل التطور وإدارة منظمة جدا ، وقد أبقوا كل هذا كما كان (٢) ، كذلك كانت دمشق (٣) وهي العاصمة الرسمية لسورية مدينة إغريقية جزئيا ، كما كانت مقر الأساقفة المسيحيين ، وكانت بها مدرسة ظلت تحتفظ بشهرتها حتى وقت الفتح العربي . ولقد خضع معاوية وخلفاؤه من بعده في دمشق للعادات اليونانية ، فحول الخلفاء الأمويون جمهورية المدينة الدينية العربية إلى امبراطورية حقيقة سورية فضربوا الدنانير الذهبية على نسق الدراهم البيزنطية ، وجعلوا الخلافة وراثية بعد أن كانت انتخابية ، واستعملوا عمالا كثيرين من اليونان والسريان ، وأسندوا إلى المسيحيين مركز الوزير الأول (٤) .

يقول ج . ليفي دلافيدا : لقد انتفع معاوية في إدارة البلاد الداخلية بخبرة المسيحيين أكثر مما انتفع أسلافه ، وكان قد اتصل

-
- (١) ف . بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية : ترجمة حمزة طاهر ص ٥١
(٢) أولبرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ترجمة : الدكتور تمام حسان ص ٢٠٦
(٣) المرجع السابق ص ٢١٠
(٤) ماكس فانتاجر : المعجزة العربية ص ٣٩ .

بالمسيحيين اتصالا وثيقا أيام ولايته على الشام في عهد عمر وعثمان ،
وعرف مبلغ علمهم ومقدرتهم العلمية (١) .

ويقول أوليرى : « وقد ظلت الكتابة في السنوات العشرين الأولى
أو ما يزيد عنها باللغة الإغريقية ، وكان الموظفون المدنيون جميعا من
المسيحيين على وجه التقريب (٢) . »

ويبدو أن هذه الظاهرة بعد أن تفتت كانت لا تجد قبولا من
الرأى العام العربى . يقول جوستاف جرونبيوم « كان تعيين غير
المسلمين في مناصب الحكم يعد أمرا غير قانونى ، وأن المعينين كانوا
يتولون مناصبهم على مضض من الناس ، وأن دوائر الأتقياء كانت
تضارب دائما مثل ذلك التواخى في التصرفات من جانب بعض
حكامهم (٣) . »

ويذكر أوليرى أنه « في عهد الخليفة عبد الملك كانت ثمة غيرة
عظيمة لأن المسيحيين احتكروا جميع الوظائف الإدارية ، وحاول
الخليفة أن يستخدم العرب في أمكتهم ، ولكن التغيير لم يكن ناجحا ،
وأكثر ما استطاع عبد الملك أن يفعله هو أن يحول الكتابة من
الإغريقية إلى العربية ، وأن يكتب العربية على النقود (٤) . »

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى ص ٦٧١

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٠٦

(٣) جوستاف جرونبيوم : حضارة الإسلام ص ٢٢٠ ، ٢٣١

(٤) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٠٧

وعندما نبهت الأسباب التي أعانت المسيحيين بوجه عام على أن يضطلعوا بدورهم في بناء الدولة الإسلامية يجب ألا يغيب عن بالنا تلك الحسرية الفكرية ذات المدى الواسع الذي سمح لفسير المسلمين بأن يعرضوا آراءهم دون خوف أو تردد .

فالتفوحات الإسلامية لم توقف سير الحياة العقلية في البلاد التي قدر لها أن تدخل في مجالها ، كذلك رضى الإسلام أن يظل أهل الأديان الأخرى على أديانهم ماداموا قد قبلوا أن يدفعوا الجزية ، بل لقد بلغ من سعة صدر خلفاء بني أمية أنهم كانوا يديحون المناقشات الدينية بين علماء الإسلام ، وعلماء المسيحية في حضرتهم .

ولعل هذا الرباط الودي الذي شد أهل الديانتين حتى فيما اختلفوا فيه كان ، ما دفع إليه قول الله تعالى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن (١) ، وقرله تعالى : ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلنا وإلهم واحد ، ونحن له مسلمون (٢) .

إذن لا غرابة بعد هذا إذا قلنا إن الحياة العقلية بوجه خاص ظلت في الإسلام تسير رتيبة كما كانت في كثير من البقاع التي كانت تسودها الروح الهلينية .

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

ولقد تمثل ذلك بصورة متميزة في المجتمعين الفسطيني واليمقوني
حيث ظل الفساد واليعاقبة على قوانينهم وتقاليدهم ، وظل مسلكهم
في الحياة دون تغيير أو تبديل ، بل إن الأمر قد تمهياً لهم ليزيدوا
من طاقتهم في خدمة الثقافة والمعرفة بما ساعد على نقل العلوم اليونانية
والتحاربها بالفسك العربي .

الفصل الثالث

حركة النقل وجهود السريان فيها

من اليسير علينا أن نقبل الاتهامات العلية في عهد الامويين ، فلقد ورثوا حضارات الأقطار التي دخلها الإسلام حتى وقتهم ، وكان انتقال الخلافة إلى دمشق كما ذكرنا من العوامل التي أمدتهم بقوات علمي زاهر ، متعدد المعارف والثقافات (١) ، فقد راقهم - وهم في بيئتهم الجديدة بالشام تحيط بهم عناصر الحضارة القديمة الناشئة من امتزاج المدينتين اليونانية والشرقية - أن ينهلوا من مناهل هذه الحضارة مع تحويلها بما يجعلها ملائمة لأغراضهم المادية والروحية ، وهكذا ظلت دمشق القديمة كما كانت مركزا (٢) للحياة الحضارية والسياسية في سورية ، وكثيرا فيها الأطباء اليونانيون ، ولا سيما من الرهبان على عادة حفظ الصناعة قديما في خدام الهياكل الوثنية ، فتحول الأمر إلى خدام الكنائس والديارات عند المسيحيين (٣) ، ولقد أسهم هؤلاء الأطباء في نقل كثير من معارفهم إلى اللغة العربية . كذلك تهيأت الأسباب في هذه الفترة لكي يتلقى المسلمون الفلسفة اليونانية في هذا الوقت المبكر ، وقد تثقف بها أفراد منهم .

يقول ابن أبي أصيبعة عن النضر بن الحارث بن كاه أنه « اطلع

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٣٨

(٢) ف. بارثولوم : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٦٣

(٣) عيسى اسكندر معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

على علوم الفلسفة وأجراء الحكمة (١) .

وإذا كان الاتصال بالفلسفة اليونانية لم توضح آثاره بشكل بارز حينذاك ، فإن هذا يرجع إلى أن المسلمين حتى ذلك العهد كانوا يهتمون الخوض فيما يمس المسائل الفلسفية (٢) خوفا على عقيدتهم التي لم تتأصل بعد في نفوس العامة منهم غير أن الحرية الدينية التي سادت في هذا العصر أفاضت لكثير من الآراء الدينية أن تتعارض وتتخاصم ، مما جعل الفرصة تفتح لرجال الدين المسيحي أن يناولوا الأمور التي كانت تثار الجدل بينهم وبين المسلمين تناولا فلسفيا .

وشاع في هذه الفترة أن في الإمكان الحصول على الذهب من المعادن الرخيصة ، ودفع هذا الاعتقاد الكثيرين إلى دراسة الكيمياء ، وأثار قيم الاهتمام بأمرها ، فابتدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية بتأثير المسيحيين ونحن في القرن الأول الهجري (٣) .

خالد بن يزيد

إن الشخصية الإسلامية الأولى التي عملت بمشورة علماء السريان ، فأقدمت على الاشتغال بالكيمياء هي شخصية خالد بن يزيد . قال عنه دي بور إنه « اشتغل بالكيمياء بإرشاد راهب

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ١٣ ص ١١٣
 (٢) يقول حاجي خليفة : « إن المقصود من المنع هو احكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام » كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤
 (٣) انظر ف. بارتولد : الحضارة الإسلامية ص ٦٤ - ٦٨

نصراني ، (١) .

وتحدث عنه ابن النديم فقال إنه كان ، يسمى (٢) حكيم آل مروان وكان فاضلا في نفسه ، وله همة ، ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين من كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح في العربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي ، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة ، وكان ما نقل يتضمن كتباً في الطب ، ويضم كتباً في النجوم .

وفي عداد الأسباب التي دفعت هذا الأمير إلى الاشتغال بالكيمياء والعناية بإخراج كتب القدماء فيها ، نستطيع أن نذكر إلى جانب محبته للعلوم أمر إبعاده عن الخلافة ، فلقد كان راغبا فيها بعد وفاة أخيه معاوية الثاني ، ولكن مروان بن الحكم ظلمه على ذلك ، فراح يحاول واكتساب العلا بالعلم (٣) .

كذلك نستطيع أن نذكر ما طبعت عليه نفسه من الكرم والجود فلقد قيل له : لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة ، فقال خالد : ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني ، إني طمعت في الخلافة

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٩

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٢ ط . الاستقامة ، وانظر ص ٥١١ من المرجع نفسه

— راجع الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٣٧٨

— ورسائل الجاحظ ص ٩٣ ط . السندوني .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣٣٢

فاختزلت دوني ، فلم أجد عنها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ،
فلا أحوج أحدا عرفني يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان
رغبة أو رهبة ، (١) .

ولقد تعمق خالد بن يزيد في دراسة الكيمياء حتى لقد كان له
فضل السبق في التأليف فيها ، ذكر ابن خلكان (٢) ، أنه كان من أعلم
قريش بقرنوسون العلم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب ، وكان
بصيرا يهدين العالين ، متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ،
وأخذ الصنعة على رجل من الرهبان يقال له مريانوس الرومي . . . وله
فيها ثلاث رسائل .

ويقرر ابن النديم أنه شاهد كتبه التي وضعها ، فيقول : إنه صح (٣)
له عمل الصناعة ، وله في ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير
في هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه كتاب
الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته
إلى ابنه في الصناعة .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٥١١ ط . الاستقامة

(٢) وفيات الأعيان - ١ ص ٢١١

- انظر جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند

العرب ص ٩

- اقرن ذلك بما ذكره عيسى المعلوم : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

(٣) الفهرست ص ٥١١ ط . الاستقامة

- انظر صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٥ ط . محمد زمر

ويكشف أحد الباحثين عن موضوع رسالة ، وما عالجها فيها فيقول إن د له في (١) صنعة الكيمياء في الطب رسائل ، وأشهرها ثلاث ، إحداها ضمنها ما جرى له مع موريانوس ، وكيف تعلم منه ، والرموز التي أشار إليها .

ولقد عرف خالد بن يزيد الطريقة التجريبية في أبحاثه ، يقول ابن عساكر ، إن (٢) الناس تذكروا الماء بمحضرة عبد الملك بن مروان ، فقال خالد : منه ما يكون من السماء ، ومنه ما يستقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات ، وأما النباتات فإنما يكون من ماء السماء ، ثم قال : إن شتم أعذبت لكم ماء البحر ، فأق بقلل من ماء ، ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب .

ويبدو أن شهرة خالد بن يزيد العلمية كانت قد ذاعت وانتشرت حتى ، يروى أنه وجد الحجر الفلسفي الذي يصنع به الذهب الاصطناعي (٣) .

كذلك يبدو أن حداثة العهد بهذه المعارف في البيئة العربية قد دفعت الناس إلى المبالغة في أمر من يشتغلون بها ، فقبيل عن خالد بن يزيد ، أن عليه من الذي استخرجه دانيال من غار الكنز ، وهو

(١) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

(٢) التاريخ الكبير : ص ٥٥ ص ١١٩ مطبعة روضة الشام ١٩٣٣ م

(٣) ف بارقولد تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٦٩

الذي أودعه آدم أبو البشر ما علم (١) .

وهناك من (٢) يذهب إلى أن ما نسب إلى خالد لا يعدو حد القصص إلى الحقيقة ، وعلى أية حال فإن نسبة هذا النشاط إليه هامة في حد ذاتها ، فهي تكشف عن اتجاه المسلمين إلى ترجمة الآثار العلمية في هذا الوقت من حياة أمتهم ، وتفسير إلى أن اللغة العربية استوعبت هذه المعاني العلمية التي عرضت لها الكتب المترجمة ، ثم إنها تؤكد أن العرب استمدوا معارفهم العلمية في البداية من المراجع اليونانية القديمة ، وأنهم كانت أول حافز لهم على تلك الدراسات .

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن خالد بن يزيد قد استدعى بعض العلماء من الإسكندرية (٣) ، وكلفهم ترجمة الكتب اليونانية التي تناولت موضوع الكيمياء ، ومن هؤلاء المترجمين أسطىن القديم ، وهو أول المترجمين في هذه الدولة ، وقد عرب لخالد المصنفات الطبية والكهوية عن اليونانية (٤) .

(١) البهروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣٠٢

(٢) راجع فيليب حتى : تاريخ العرب ص ١٠ ص ٣٢٠ ، ٣٢١

(٣) انظر الدكتور إبراهيم المدوي : الدولة الإسلامية و امبراطورية الروم

ص ١٦٤

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ ط . الاستقامة

(٥) عيسى المعالوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

الترجمة قبل خالد بن يزيد :

إن إصرار الباحثين وإجماعهم على أن أولية النقل إلى اللغة العربية معقودة لخالد بن يزيد ومن عاونه من علماء الضمطرة يجب ألا يخذلنا فنصرف النظر عن المرحلة التي تسبق عصره ، فالواقع أن الترجمة كانت معروفة قبله ، ولكن الذي استحدثه خالد هو بذل جهد مقصود لنقل معارف عليية بحته لاتستلزمها شئون الحياة الجارية .

ولعل الباحث يجد الدليل على صحة هذا الرأي فيما يذكره ابن اسحق وهو بصدد الحديث عن بناء الكعبة على عهد النبي(ص) اذ يقول (١) « حدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود ، فإذا هو : أنا الله ذوبكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء . لا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في السماء واللبن ،

وفي صدر الدعوة الإسلامية اتخذ رسول الله(ص) من يقوم مقام المترجم بينه وبين من يشاء الكتابة لهم من الملوك والحكام .

يقول المسعودي (٢) « كان الخزرجي يكتب إلى الملوك ويحجيب بحضرة النبي(ص) ، كذلك كان يترجم للنبي(ص) بالفارسية ، والرومية ، والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن . »

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٠٨

— انظر برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ١ ص ١٩١

(٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٤٦

ولقد كانت رغبة الرسول (ص) في تأمين الدعوة الإسلامية دافعا له لكي يوجه فريقا من الصحابة لتعلم هذه اللغات ودراستها حتى يستطيعوا أن يؤدوا عنه ما يريد لأهلها .

يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه (١) : أمرني رسول الله (ص) أن أتعلم السريانية . قال إنى لا آمن يهود على كتابي ، فبما مررت نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه ، فكنت أكتب له (ص) إليهم وأقرأ لهم .
نخاص من كل ذلك الى أن البيئة الإسلامية في هذه الفترة شأنها شأن أى بيئة اجتماعية أخرى يتوفر فيها هذا التفاعل المستمر لا يمكن أن تخلو عن يعرف غير لغة أهلها خاصة والظروف هنا قد أفسحت المجال لأصحاب هذه الألسن الأجنبية أن يجدوا لأنفسهم مجالاً بين ظهرانى القوم .

اشتغال السريان بالترجمة قبل الاسلام

ليس من مصادقات العصر أن نجد الرواد الأوائل الذين يضطلعون بعينهم الترجمة والنقل سريانا ، إذ أن هذا هو الأمر الطبيعي الذى كان لابد أن يحدث ، ذلك لأن هؤلاء كانوا قد قطعوا في هذه الطريق شوطا بعيدا ، فقد مارسوا الترجمة قبل ظهور الدولة الأموية بكثير ، فمنذ القرن الرابع الميلادى شرع السريان (٢) في نقل الكتب اليونانية إلى السريانية في مدرسة الرها .

(١) برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣٥ ط ١٣٩٢ هـ .

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

فترجمت في هذا القرن مجموعات من الحكم ، وفي القرن الخامس (١) شرح
بروبوس كتب أرسطو المنطقية وإيساغوجي لفورفورديوس . كذلك عن
نقلوا علوم اليونان إلى السريانية سرجيس (٢) الرأس عيسى اليعقوبي
المتوفى سنة ٥٢٦ م ، وقد كان رئيسا لأطباء رأس العين ، غير أنه
اشتغل بالفلسفة ، وكتب مقالات شتى ، وترجم كتبا كثيرة فلسفية
وطبية من اليونانية إلى الكلدانية ، (٣) .

ويذكر ابن أبي أصيبعة ، أنه أول من نقل كتب اليونان إلى
السريانية ، (٤) .

كما يذكر جويدي ، أنه أول من علم أبناء وطنه فلسفة

(١) راجع النقل عن اليونانية في القرن الخامس الدكتور مراد كامل . تاريخ
الأدب السرياني ص ١٤١ - ١٣٥ .

(٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

— اقرن ذلك بقول أدى شير ، ولم يلبث سرجيس أن انحاز إلى الكاثوليك
وحارب معهم البدعة المنوفيسيتية بشدة لا مزيد عليها ، ولهذا لا صحة لقول
المؤلفين المنوفيسيتيين أنه كان يعقوبيا ، وما يستحق الاعتبار أن بعض النساطرة
كانوا من أخص تلاميذ سرجيس منهم ثيودور أسقف مسرو ، تاريخ كلدو
وآثور ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٧٢

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٩

— أنظر قوله ، وهو أول من نقل شيئا من علوم الروم إلى اللسان السرياني

١٣ ص ١٨٦ وانظر أيضا ج ١ ص ٣٠٤ من المرجع نفسه .

أرسطوطاليس ، (١) وقد ترجم سرجيس كتاب الطب لجالينوس (٢) الذى
يعتبر أساس دراسات الطب فى الأوساط الطبية الشرقية (٣) ، .

وفى مصر نشط السريان قبل الفتح الإسلامى ، وبدأ نشاطهم خاصة
فى الإسكندرية وفى الأديرة التى اتخذوها لأنفسهم ، وبسببهم عرفت
مصر اللغة السريانية وإن ظلت عسيرة فى محيط هذه الطائفة . وكان
لهم نشاط علمى ملحوظ ، فقد ترجم أحد أساقفتهم نسخة الترجمة
السبعينية من الكتاب المقدس إلى اللغة السريانية ، كما ترجم (٤) جاسيوس
مقالات أهرون القس الطبية من اليونانية إلى السريانية .

ولقد كانت الترجمة من اليونانية إلى السريانية باللغة الدقة حتى أن
من يجيد اللغتين يجد أنه من المستحيل أن يفرق بين الأصل
والترجمة السريانية (٥) ، غير أن د مطابقة ، الترجمة للأصل

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

ص ١٨٢ .

(٢) انظر عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ٤

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٦٧ .

(٤) عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ٤ .

— راجع الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٩١ .

— اقرن ذلك بقول ابن أبى أصيبعة ، إن أهرون القس ألف كتابا

بالسريانية د عيون الألباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٩ .

(٥) نفلا عن خودا بنخش : الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور علي

الخرطوطلى ص ١٥٧

تبدو في كتب المنطق والعلم الطبيعي أكثر مما تبدو في كتب الأخلاق أو ما بعد الطبيعة ، فقد حذفوا كثيرا من غوامض هذين العالَمين ، أو فهموه على غير وجهه ، وأحلوها عناصر مسيحية محل ما هو وثني (١) ، فلقد اصطبغت النظريات الفلسفية في ذهنهم بصبغة مسيحية ولا سيما نظريات أفلاطون الذي مثله في أديرتهم في صورة راهب شرقي .

ولقد أدى هذا الالتحام المباشر بين السريان وعلوم اليونان إلى أن أصبحت الثقافة اليونانية تعيش في كيان هؤلاء القوم ، وتخالط عقولهم ، بما جعلهم يتمكنون منها ، ويصبحون معلمين لها فيما بعد حين ينقلونها إلى العرب .

ولقد كان دورهم في العصر الإسلامي امتدادا طبيعيا لما قاموا به قبل ذلك ، فقد واصلوا العمل في الترجمة ، وصاروا بذلك واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان كالمنطق والفلسفة وعلم الفلك وهلم جرا ، (٢)

النقلة في العهد الأموي

قام يحيى النحوي (٣) ، وتوفي قبل منتصف القرن الثامن الميلادي ، الملقب بالطريق بدور كبير في نقل العلم المسيحي والآراء اليونانية إلى الإسلام ، واتخذ كانا في سمرانيا فيلسوفا ، فأراد عامل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ازعاجه عن فارس وتخريب ديره ، فكتب

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٠

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٢

(٣) هو غير يحيى النحوي الذي تزعم بعض الروايات أن له دورا في قضية

سرق عمرو بن العاص مكتبة الإسكندرية

يحيى قصته إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد بن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين ، (١)

وعلى الرغم من أن يوحنا كان يكتب اليونانية إلا أنه لم يكن إغريقيا إذ كان سوريا يتكلم الآرامية في بيته ، ويعرف فضلا عن هاتين اللغتين اللغة العربية ، وقد مكنته هذا من أن يبصر المسلمين بطبيعة الفكر اليوناني وبخاصة الفلسفة ، وذلك من خلال المناظرات والجدل .

يقول الفريد جيوم إنه « كان يتجادل مع العرب حول معنى اصطلاح لفظي « كلمة » و « الروح » اللذين نسبا للمسيح في القرآن هل هما مخلوقان أم غير مخلوقين » ، (٢) .

وقد ذكر سويتمان أنه « قد بقي لنا قدر كبير مما كتبه ، وإذا كان هناك شك حول بعض الكتب التي تحمل اسمه ، فن المؤكد أنها إذا لم تكن قد كتبت بقله فإنها من وضع قليدنه ثيودور » ، (٣) .

ويبدو أن يوحنا كان على خلاف مع أهل ديارنة إذ كان يهوه (١) عليهم بما أثار حفيظتهم عليه ، وهموا بقتله ، فدفعه ذلك إلى أن يصنف كتابا يرد فيها على أفلاطون وأرسطو ، كذلك وضع كتابا دافع فيها عن المسيحية ، وجادل فيها المسلمين .

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٩

(٢) الإسلام : ص ١٢٤ ترجمة الدكتور محمد مصطفى هداره

(٣) Islam and Christian Theology p. 64.

(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٩

ولقد ظهر تأثير يوحنا في المسلمين واضحا ، يقول البيهقي ، إن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في تهافت الفلاسفة تقرير كلام يحيى النحوى (١) .

وكما ساهم يحيى النحوى في نقل الفلسفة اليونانية إلى المسلمين ، كان له أيضا دوره في نقل المعارف الطبية إليهم ، ولقد أشار البيهقي (٢) إلى أن خالد بن يزيد بن معاوية قد أخذ الطب منه . ولا غرابة في أن يحيى النحوى قد جمع بين الدراسات الفلسفية والطبية ، فقد كانت سمة العصر أن يجمع الحكماء بين الطب والفلسفة . فقد ذكر بن أبي أصيبعة (٣) ، أن النضر بن الحارث بن كلدة الثقفى قد اطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه أيضا ما كان يعلم من الطب وغيره .

(١) المرجع السابق : ص ٣٩

— يرى الدكتور عبد الرحمن بدوى أن يحيى النحوى عاش قبل الإسلام وألف كتاب الرد على برقلس في قدم العالم سنة ٥٢٩ م ، وأن هذا الكتاب قد ترجم في القرن الرابع أو قبل ذلك ، ومن الذين تأثروا بكتاب يحيى النحوى هذا أبو حامد الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ، وإن لم يذكر اسم يحيى النحوى ولا كتابه ، ولكنه يكاد ينقل حججه ومبنيها في رده على الفلاسفة في قولهم بقدم العالم .

انظر تصدير ، الأفلاطونية المحدثة عند العرب ، ص ٣٠—٣٦

(٢) انظر البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٤٠

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الانبياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١١٣

ويبدو أن المسلمين كانوا يولون الدراسات الطبية عناية فائقة منذ وقت مبكر . يقول صاعد الأندلسي د كانت (١) العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلم إلا بلغتها ، ومعركة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب ، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها ، ولما كان عندهم من الأثر من النبي صلى الله عليه وسلم في الحث عليها حيث يقول : يا عباد الله قداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم . .

ولقد تعرض ابن خلدون في مقدمته لأحوال الطب في صدر الإسلام وعرج في حديثه إلى الكلام عن الطب النبوي (٢) فقال د والطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب ، ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات . .

ولقد استمد الطب العربي العلمي مقوماته من اليونان والفرس غير أن الصبغة اليونانية غلبت عليه ، وفي مقدمة الأطباء العرب الحضارة ابن كده (٣) د وأصله من ثقيف من أهل الطوائف رحل إلى أرض

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٤ ط ، محمد مطر

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٩٣ و ٤٩٤ ط . مصطفى محمد

(٣) القفطي : أخبار الحكماء ص ١١١

فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية وقبل الإسلام ، وجاد في هذه الصناعة ، وقد أدرك الحارت الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من كان به عله أن يأتيه فيستوصفه (١) ، ويطالغنا القفطى بنخبر يؤكد ذلك في قوله : « أمر رسول الله (ص) سمع بن أبي وقاص بأن يأتيه فيستوصفه في مرض نزل به ، (٢) . وقد بقي حتى أيام معاوية بن أبي سفيان .

ولقد كانت المادة الطبية التي احتكت بها العقلية العربية قد خرجت من أيدي أصحابها ، وتعتى بهم اليونان ، وتلقفها الدارسون والشارحون الذين يعرفون اليونانية والسريانية ، وشارك الأطباء السريان في هذه الدراسة بنصيب وافر ، وكان لهم دورهم في النقل والترجمة .

وقد اشتهر في العصر الأموي منهم ابن آثال . قال عنه ابن أبي أصيبعة : كان (٣) من الأطباء المتميزين في دمشق ، نصراني المذهب ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه ، وأحسن إليه ، وكان كثير الافتقاد له ، والاعتقاد فيه ، والمحاذثة معه ليلا ونهارا .

— انظر صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٥

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء ج ١

ص ١٠٩ و ١١٠

— انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٣٤٦

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٦

— يذهب عيسى معلوف إلى أنه لسطوري من الطائف ص ٥ الأسر الطبية

(٢) أخبار الحكماء ص ١١٢ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ

(٣) عيون الأبناء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١١٦

كذلك كان من أطباء بنى أمية أبو الحكم (١) الدمشقي ، وهو طبيب من أهل دمشق ، سيرة معاوية بن أبي سفيان مع ولده يزيد طبيبا إلى مكة .

وفي عهد عبد الملك بن مروان اختص بخدمة الحجاج بن يوسف ثاودون (٢) وتياذوق (٣) الطبيبان . أما ثاودون فله كناش كبير عمله لابنه . وأما تياذوق (توفى سنة ٨٩٠ هـ) فقد كان أحد الأطباء السريان المشهورين ، وقد تلقى العلم على يديه تلاميذ أجله كفرات بن شهناتا (٤) الذي خدم الحجاج وهو حدث ، وامتد به العمر حتى

-
- (١) انظر تفاصيل أخباره وجهود أسرته في خدمة الدولة الاموية ثم العباسية عند القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٣ ، ٢٦٤
- انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ١٣٩
- (٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٤
- القفطي : أخبار الحكماء ص ٧٦
- (٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ١٣١
- القفطي : أخبار الحكماء ص ٧٤
- راجع طرفا من أخباره عند ابن قتيبة : عيون الاخبار ص ٢٣٠
- حريف الراغب الاصفهاني اسمه إلى ديبادوق ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء ص ٢٠٣ ط . الشرفية
- (٤) راجع ترجمته عند القفطي : أخبار الحكماء ص ١٦٩
- يذهب الدكتور أحمد عيسى في التهذيب في أصول التعريب ، إلى أن فرات بن شحناتا سرياني اللغة يهودي المذهب
- انظر عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٢

أدرك الدولة العباسية ، وعمل في صحبة عيسى بن موسى ولي العهد في أيام المنصور ، وكان يشاوره في كل أمر ينويه .

وفي أيام عمر بن عبد العزيز ، ولد ٨٦١ = ٦٨١ م - توفي سنة ١٠١٨ = ٧٢٠ م ، زاد الاهتمام بالدراسات اليونانية ، ومن الذين شاركوا في ذلك عبد الملك بن أيجر السكناني الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة : وكان طبيبا عالما مامرا ، وكان في أول أمره مقيا في الإسكندرية لأنه كان المتولى للتدريس بها . . . فلما استولى المسلمون على البلاد ، وملكوا الإسكندرية ، أسلم ابن أيجر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميرا قبل أن تصل إليه الخلافة ، وصحبه ، فلما أفضيت الخلافة إلى عمر ، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق في البلاد ، وكان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه في صناعة الطب . (١)

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٤ ص ١١٦

— انظر خوردا بخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٣

— استشهد ماكس مايرهوف أن يكون عبد الملك بن أيجر رئيسا لإحدى المدارس في الإسكندرية في زمن الروم لأنه عربي مسيحي ولأن الدراسات اليونانية كانت حينئذ كلها في أيدي الأساتذة النصراني الذين كانوا كلهم من رجال الدين تقريبا ، ومن أجل هذا يجب علينا أن نخرج البيزنطيين من حسابنا ، وأن ننتقل بما يورده ابن أبي أصيبعة إلى العصر الإسلامي المتكتم .

— كذلك يرى أن أكثر الفروض احتمالا أننا بازاء طبيبين يشتركان في

ومن الذين اشتغلوا بالترجمة في العهد الأموي الطبيب البصري
ماسرجوية أو ماسرجيس ، وهو سرياني (١) اللغة ، يهودى المذهب ،
وقد اعتقد العرب أن أصله سرياني (٢) . ولقد نقل من السرياني إلى
العربي (٣) ، وذكر القفطى أنه (٤) ، وتولى في أيام مروان في الدولة

== نفس الاسم ، عمل أولها طبيباً لعمر بن عبد العزيز ، بل وكان صديقاً له ،
ويستدل على ذلك بأن ابن أبي أصيبعة في الترجمة السابقة على ترجمة ابن أبي
يورد اسم هذا الأخير على أنه من روا كلاً ما يتعلق بابن أبي رمثة الذى
كان طبيباً في عهد الرسول .

أما الثانى فقد اشتهر أيضاً بمعارفه الطبية ، وقد ذكر ابن حجر أنه توفى
بعد سفیان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ = ٧٧٨ م أى بعد عمر عمر بن
عبد العزيز بكثير .

— انظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٦٥

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١

ص ١١٦ ، ١١٧

— راجع ترجمة ابن أبي رمثة : القفطى أخبار الحكماء ص ٢٨٤

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٢

— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ٢٣٠

(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١٧١

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٧

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١

ص ٢٠٤

(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢١٣

المروانية تفسير كتاب أمرون القس بن أعين إلى العربية ، ووجده عمر ابن عبد العزيز في خزائن الكتب ، وأمر بإخراجه ووضع في مصلاه ، واستنحار الله في إخراجه إلى المسلمين لينفع به ، فلما تم له في ذلك أربعون يوما أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم ، وهذا على عكس ما يذهب إليه الدكتور محمد كامل حسين في قوله (١) وكتب أمرون القس مقالة الطيبة التي يجمعها « كناش في الطب » الذي ترجم إلى اللغة العربية بأمر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز . والدكتور التيجاني الماسي في قوله (٢) « إن ماسرجويه قولى لعمر ابن عبد العزيز ترجمة كتاب أمرون القس فى الطب » . والاستاذ عيسى معلوف فى قوله (٣) « إن ماسرجويه غرب كناش القس أمرون بن أعين فى السريانية فى خلافة مروان بن الحكم بإشارة عمر ابن عبد العزيز .

وكيفما كان الأمر فما لا شك فيه أن ماسرجويه نقل كناش أمرون ، وكان ثلاثين (١) مقالة ، فزاد عليها مقالتين ، وبذلك يعتبر ماسرجويه

== راجع ابن أبى أصيبعة : عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء

١٢ ص ١٦٣

(١) الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر

ص ٢١

(٢) الدكتور التيجاني الماسي : تاريخ الطب عند العرب ص ٤٦

(٣) الأستاذ عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٢

(٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء ص ١٠٩ ==

الكاتب (١) الأول لمؤلف علمي بلفظة الإسلام ، ولما سرجوية من
الكتب كتاب قوى الاطممة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير
ومنافعها ومضارها .

== ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٧
- القفطي : أخبار الحكماء ص ٥٧
(١) الدكتور فيليب حق : تاريخ العرب - ١ ص ٢٢٠

الفصل الثالث

موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة

تفسير الدلائل إلى أن العقلية العربية تقبلت الثقافات الأجنبية وسارعت إلى امتصاصها وتشربتها ، ثم نشطت مرة أخرى فبثت فيها من روحها ، وأظهرتها للملا ، وبها من الريادة ما يشهد لها بالفضل ، ويقر لها بالجليل . وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن التراث الثقافي الذي دخل في حوزة العرب ، والذي أوصلته إليهم المراكز الثقافية القديمة لم يتجمد على أيديهم ، وإنما توفرت له كل الظروف التي دفعته ليلبغ أقصى الطاقة ، ويحقق غاية النمو . وعلى ذلك ، فالحضارة العربية الإسلامية في قاعها هي الحضارات الآرامية المتأخرقة والإيرانية كما قرقت تحت حاية الخلافة ، وعبر عنها اللسان العربي (١) .

ولقد تبينات كل الأسباب التي أعانت العرب على ذلك : فالميراث الثقافي للأمم التي خالطتهم أصبح في متناول يدهم ، وكان الذهن العربي يتطلع بشوق دافق إلى التعرف على كل جديد ، كذلك كان لدى العقلية العربية الهاضمة الإمكانيات والقدرات الفطرية التي جعلتها أهلا للقيام بدورها في هذا الموقف ، فأعان ذلك على سرعة الفهم والتعلم . كذلك توفرت القابلية للتطور في اللغة العربية ، فتأملت هذه الأبحاث العلمية ، وأمدتها بالألفاظ التي تسد حاجتها المتجددة .

(١) الدكتور فيليب حقي : تاريخ العرب ١ - ص ٢١٥

ومن السهل في هذه المرحلة أن نتعرف على ماهية العلماء الذين أسهموا في التراث العربي لأنه حتى ذلك الحين كان العرب والاعراب منفصلين إجتماعيا وأسبابا (١) ، غير أن الأمر يجب أن يصلو على هذه النظرة ، ففاهيم الألفاظ تغيرت ، ولم تعد مدلولاتها المعهودة تدل عليها .

يقول فيليب حتى (٢) : منذ ذلك الحين أصبح لفظ العربي يطلق على كل من اعتنق الإسلام ، وتكلم باللسان العربي ، وكتب العربية بصرف النظر عن نسبه الجنسي ، وعلى ذلك فالطب العربي ، أو الفلسفة العربية ، أو الرياضيات (٣) العربية إنما يقصد بها مجموعة المعارف التي احتوتها الكتب التي كتبت باللغة العربية ، والتي كتبها رجال ازدهروا في عهد الخلافة في الغالب ، وسواء في ذلك أكانوا قد استمدوا معلوماتهم ومادة كتابتهم من المراجع اليونانية أم الآرامية أم غيرها ،

وفي هذه الفقرة ظهر جابر بن حيان (٨٣٠ م = ٧٠٢ م - ١٤٨ م = ٧٦٥ م) واشتهر (٤) باشتغاله بالعلوم ولاسيما الكيمياء ، وله مصنفات

(١) راجع الدكتور حازم زكي نسيبه : القومية العربية ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) تاريخ العرب ١٣ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠

(٣) انظر تفصيلا واسما حول الخلاف في التسمية و إسلامية أو عربية ، عند مصطفى عبد الرزاق في كتابه : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ط ٢ ص ١٦ - ٢٠

(٤) راجع قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ٩٨

ذكرها ابن النديم في الفهرست (١) ، وفند مزاعم من نسب شيئا كثيرا منها إلى غيره .

وقد اعتبر (٢) أبا للكيمياء الحديثة ، وقيل عنه أنه بلغ في الكيمياء ما بلغه أرسططاليس في علم المنطق ، ومن خلال أدغال الأساطير والخرافات التي نشأت حول شخصه وعمله ، نستطيع أن نقين عقلا عليا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رآها أى من قدماء الكيمويين ، ودون آراء جد صائبة في أساليب البحث الكيموى . وتأثير جابر واضح في جميع سياق تاريخ الكيمياء في أوروبا (٣) ، .

واقدم كان جابر بن حيان مع براعته في الكيمياء ، مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ، ومتقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام ، (٤) .

وفيا عدا هذا النشاط العلمى كانت الدولة الاموية أقرب إلى من قبلها في السداجة الصناعية ، فلم يكن لترجمة الكتب فيها حظ كبير ولا عظيم أثر ، (٥) ذلك لأن اهتمام الناس كان موجها في كليته إلى العلوم الدينية الإسلامية ، وكانوا ينظرون إلى العلوم التي تدرس في

(١) راجع ابن النديم : الفهرست ص ٥١٢ - ٥١٧

(٢) انظر الدكتور التيجانى الماسى : تاريخ الطب عند العرب

(٣) نجلاء عز الدين : العالم العربى ص ١٢

(٤) برتيلو : انظر لإسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٦٥

— القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١

(٥) محاضرات فى تاريخ الامم الإسلامية للنخضرى ص ٢١٩

المراكز الثقافية على أنها علوم غير المسلمين بما أدى إلى انصرفهم عنها طوال القرنين الأول والثاني، وظلت العناية بها قاصرة على أهل الذمة من النصارى واليهود على اختلاف مذاهبهم ونحلهم (١).

ولقد أدى اختلاط المسلمين بالمسيحيين إلى ظهور الأفكار التي تقوم حول النقاش الديني بين المسيحية والإسلام.

يقول الفريد جيوم « إن مراكز الثقافة اليونانية الكبرى في سورية ومصر وبلاد ما بين النهرين وفارس انتقلت إلى العرب في خلال سنوات قليلة بعد وفاة الرسول، وعلى ذلك كان من المحتم على المسلمين أن يكونوا على علم بطبيعة الفكر اليوناني، وخاصة الفلسفة من خلال المناظرات والجدل الذي كان يحدث بينهم وبين رجال الديانات القديمة المتعددة، وبسبب دخول الآلاف الذين كانوا يعيشون في ظل الإمبراطوريات القديمة في الإسلام (٢)، كذلك لم يحس الناس بتردد في مناقشة الخلافات الدينية بجرية تامة، وربما كان من المعقول أن نفترض أن مثل هذا الاختلاط جعل المسلمين الدمشقيين على صلة بالمعلومات العامة عن اللاهوت المسيحي والفلسفة (٣)، وكان بما عرفوه الجدل الذي كان قد احتدم حول طبيعة المسيح قبل الإسلام بما كان سببا في ظهور النزعات الفلسفية.

(١) انظر في ذلك الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية

عصر ص ٦٣

(٢) الفريد جيوم : الإسلام ترجمة الدكتور محمد مصطفى هدارة ص ١٢٤

(٣) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢١٢

يقول جورج كيرك (١) ، في أواخر عهد الأمويين ظهرت روح التحليل والتأمل في منطوق الأحاديث ، فكان ذلك بداية لتكوين علم الفقه الإسلامى ، فإن الاطلاع على الأبحاث المسيحية التى هى أقدم عهدا من الإسلام ، والتي أشربت كثيرا من روح البحث والاستقصاء اليونانية قد أفضت ببعض المسلمين إلى التعمق فى النظر فى أسس دينهم لما رأوه من شدة الإجمال ، أو احتمال الشبه التى لم يستطيعوا الاهتداء إلى حقيقتها من نصوص القرآن وحدها ، ويمضى جورج كيرك فيقول : وقد نعى هذه الروح الجديدة فى الإسلام ما سبق أن عمل على تنبيه مثلها بين المسيحيين ، وهو الجسد المحتدم بين الطوائف المتنازعة فى الرأى ، فاشتد النزاع فى الإسلام بين الشيعة وأهل (٢) السنة .

ولقد كان للفلسفة اليونانية دورها فيما ثار بين الفرق الإسلامية من نقاش فلم تكن دراستها قد توقفت ، وإنما ظلت قائمة فى الأديرة والكنائس ، وكان الاهتمام واضحا بمنطق أرسطو حتى آخر الفصل السابع من التحليلات الأولى إلى آخر القياسات .

يقول أولبرى (٣) ، ولقد غزا العرب العراق عام ٦٣٨ م ثم بلاد الفرس ٦٤٢ م ، وفى خلال أسقفية مرثا الثانى كات العراق وفارس

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ العالم ص ٤٢

(٢) المرجع السابق ص ٤٢

(٣) أولبرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ١٠٤

تحت حكم خلفاء بني أمية في دمشق ، ومن هذا يبدو واضحا أن الفتح
العربي لم يوقف دراسة فلسفة أرسطو ولم يتدخل في شئونهم ،
فبقيت في الكنيسة النسطورية تحت الحكم العربي .

ويقول ابن كثير ، إن علوم (١) الأوائل دخلت إلى بلاد المسلمين
في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأماجم ، والمقصود بعلوم الأوائل
هنا العلوم الفلسفية اليونانية .

وقد أشرنا فيما سبق إلى ما قرره ابن أبي أصيبعة (٢) من أن الحارث
ابن كادح الثقفي اطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة . ولكن هذا
لا يعني أن المسلمين تقبلوا المباحث الفلسفية واهتموا بها ، بل لأنهم
عرفوا عن دراستها وهجرها ، يقول حاجي خليفة ، إن علوم الأوائل
كانت مهجورة في عصر الدولة الأموية (٣) ، وهو يرى أن المسلمين
كانوا يتهيبون دراستها ، صونا (٤) لقواعد الإسلام وهقائد أمته عن
تطرق الخلل قبل الرسوخ والاحكام ، كذلك يرى ابن كثير أن
دراسة الفلسفة لم تكثر في المسلمين ، ولم تنتشر لما كان السلف يمنعون من
الحوض فيها (٥) . . وصاعد الأندلسي يقول ، وأما علم الفلسفة فلم

(١) السيوطي : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٢

(٢) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ١٠ ص ١١٢

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٢٤

(٤) نفس المرجع ص ٣٣

(٥) السيوطي : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٢

يمنحهم الله عز وجل شيئاً منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به (١) . .
على أية حال لم تقبل العقلية العربية درس الفلسفة إما للحفاظ
على الدين ، وإما لأن طبع العرب لم يكن قد تهيأ بعد لتقبل
هذا العلم .

ولكن إلى جانب هذه الحقيقة يعود الباحث إلى ما أشار إليه منذ
حين ، وهو أن الاختلاط الذي لم يكن مقبداً بين المسلمين والمسيحيين
أتاح الفرصة للأثار الفلسفية من أن تنفذ إلى المسلمين . وفي وسعنا أن
نتبين ذلك في نشأة الفرق الإسلامية ، فلقد نفذت إليها المناقشات التي
كانت مثاراً كثير من الجدل في الفلسفة اليونانية وفي الديانة المسيحية (٢) ،
وأحدثت أثرها فيها ، وكان من نتيجة ذلك أن أخذت الفرق الإسلامية
اتجاهاتها منها .

يقول أوليري ، في البصرة بدأت الدلائل الأولى على أفكار المعتزلة
مع شواهد على الأثر القوي من تأملات الإغريق الفلسفية على علم
الكلام العربي (٣) . .

يقول دي بور ، ولا شك أن مذاهب المتكلمين تأثرت بمسائل
مسيحية أبلغ التأثير ، فتأثرت العقائد الإسلامية في تكوينها بمذاهب الملكية

(١) ساعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥١

(٢) انظر علم الأخلاق لأرسطو ترجمة أحمد لطفى السيد ٢٦٥ - ٢٨٦

— إيران في عهد الساسانيين : ترجمة يحيى الخشاب ص ٤١١

— تراث فارس : الفصل الخاص بالدين في فارس ص ٢٠٠

(٣) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣١٩

واليعاقبة في دمشق ، كما تأثرت في البصرة وبغداد بالمذاهب النسطورية والغنوسطية ، ولم يخلص إلينا إلا القليل من الآثار المكتوبة المتعلقة بتلك الحركة في أوائل نشأتها ، غير أننا لا نخطئ الصواب إذا قلنا إن اختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم في المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب في الشرق في تلك الأيام بالشئ الكثير ، بل كان الناس يأخذون عن أساتذتهم شفاهاً أكثر مما يتعدون من الكتب ، ونحن نجد بين مذاهب المتكلمين الأولى في الإسلام وبين العقائد المسيحية شبيهاً قوياً لا يستطيع معه أحد أن ينكر أن بينها اتصالاً مباشراً ، وأول مسألة قام حولها الجدل بين علماء المسلمين هي مسألة الاختيار ، وكان المسيحيون الشرقيون يكادون جميعاً يقولون بالاختيار (١) .

ولعل في هذا ما يفسر نشأة فرقة القدرية متأثرة بهذه الأصول المسيحية . يقول المقرئى : كان أول من قال بالقدر في الإسلام معبد ابن خالده ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى ، فتكلم في القدر بالبصرة ، وسلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله ، وأخذ معبد هذا الرأي عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس فسويته ويعرف بالأسوارى (٢) .

ويقول ابن العبرى إنه يمكن أن يكون مذهب القدر نتيجة للأثر المسيحي اليوناني ، والقدرية هم أقدم فرقة في الفلسفة الإسلامية ، ويمكننا أن

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٤٨١ ، ٤٩٠

(٢) خطط المقرئى ص ٤٠١

نعرف مدى انتشار آرائهم إذا عرفنا أن اثنين من الخلفاء الأمويين وهما معاوية الثاني ، ويزيد الثاني كانا قديرين ، (١) .

ويؤكد أبو الفرج الأصفهاني تلقى مذهب القدرية عن المسيحيين ، ولكنه يعود بزمن التلقى إلى العصر الجاهلي ، فيذكر أن أعشى بكر أخذ القول في القدر عن العباديين نصارى الحيرة ، لغتوه لإياه حين كان يأتهم ليشتري الخمر (٢) .

ويذهب الدكتور عبد الحكيم بليغ إلى أن ثمة روايات تعطينا حقيقة واضحة هي أن القول بالقدر انتقل إلى المسلمين بصفة مباشرة عن طريق الديانة المسيحية ، وأن فرقة القدرية التي تجمعت حول هذا القول ودانت به كانت مظهرا من مظاهر التأثير المسيحي في التفكير الإسلامي (٣) .

(١) ابن العمري : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٠

— انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٠٢

— وإن أقدم أثر آرامي بلغ إلينا هو رسالة في القدر كتبها مارا بن سرايمون الذي عاش في الجيل الأول أو الثاني للمسيح ، وقد كان فيلسوفا وثقيا ، أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ٤٠

— من المسيحيين الذين تكلموا في القدر برديسان ولد عام ١٣٤ م ، وتوفي ٢٠٢ م ، وقد أنكر القدر ، وقال بالحرية ، وقد بقى كتابه في القدر ، وقد طبع وترجم إلى عدة لغات أجنبية ، أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢١٠

(٢) الأغانى : ص ٨٠ ط. القاهرة

(٣) أدب المعتزلة : ص ١٢٠ ، ص ١٢٣ وراجع قوله ، فالقدرية أخذوا رأيهم في القدر عن أصل مسيحي ، والجممية أخذوا قولهم في نفى الصفات وخلق القرآن عن أصول مسيحية ويهودية ، ص ١٢٢ من نفس المرجع

ثم يمد الباحث نظره إلى مذهب المعتزلة فيفرض عليه رأيه ، ويقرر أن نشأة المعتزلة لم تكن بعيدة عن تأثيرات اللاهوت المسيحي الذي كان منتشرا في بلاد المشرق ، كما أن مبادئهم كانت متأثرة بهذا اللاهوت (١) . نحن نسلم بالمبدأ العام للتأثر ، فالظواهر الفكرية والحضارية لا يمكن أن تعيش في معزل عن تيارات المجتمع الأخرى ، ولكننا نبدى تحفظا حول نقطة البدء لهذه الأفكار ، والأصل الذي خرجت منه ، وقد يبدو هذا التحفظ من حيث الشكل مينا ، ولكنه في مجال البحث عن المنابع الفكرية قد يكون له شأنه . فما لاختلاف حوله أن النصارى (٢) الذين كانوا يعيشون في الشام في ظل الدولة الأموية قد أثاروا كثيرا من المناقشات الدينية ، وبخاصة في دمشق عاصمة الخلافة كما أشرنا إلى ذلك في أكثر من موضع ، فإذا أضيف إلى ذلك أن قصور الخلفاء كان فيها كثير من هؤلاء ، وكانوا يتولون مناصب كبيرة ، اتضحت خصوبة هذه المناقشات وأهميتها ، وأصبح من المحتمل أن نجد أشياء من الثقافة المسيحية قد تسربت إلى المسلمين ، ولصادف ظلالات تعاليمهم تمتد لتبدو في آراء الفرق الإسلامية التي استمدتها في الأصل من مصادر إسلامية يحتمل ، ونقصد بها القرآن والسنة .

ويبدو أن يحيى النحوى الذي كان يعمل مسو وأبوه في قصر عبد الملك بن مروان قد حمل عبءا كبيرا في هذا المجال حيث نجد أنه قد

(١) الدكتور عبد الحكيم بليغ : أدب المعتزلة ص ١٢٥

(٢) انظر أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٦ . مطبعة الاعتقاد

- راجع ص ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ من هذا الكتاب

وضع كتابا للنصارى يستهدون به في جدالهم مع المسلمين ، كما نجد (١) له أمرا كبيرا في كثر من الأبحاث اللاهوتية التي أفاد منها المعتزلة .

في هذا الإطار يجب الاتجاه إلى بحث الأمر المسيحي في الجانب الفلسفي من الفكر الإسلامي وبخاصة في هذه الفترة التي يتنازلها البحث حيث لا مبالاة تجعل بذور هذا الفكر غريبة على المسلمين ، دخيلة عليهم ، ولا شطط ينفي عوامل التأثير ، وينكر مظاهر التأثير ، فلئن قالت القدرية بنفي القدر ، وحرية الإنسان وإرادته في أفعاله ، وأنه غير ، فإن القرآن قد اشتمل على آيات كثيرة ظاهرها الاختيار مثل قوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » (٢) ، وإذا قالت الجبرية بإثبات القدر وبأن الإنسان مجبر في أفعاله ، ولا اختيار له فيها (٣) ، فإننا نجد في القرآن آيات كثيرة تحمل هذا المعنى مثل قوله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة » (٤) .

لماذا إذن لا يكون البدء من هنا ؟ وما المانع في أن تكون هذه البذور الحية إسلامية الأصل ، ثم تهيأت لها الظروف فيما منها الفكر الفلسفي بعد أن تغذى بما استمدته من الجدل مع المسيحيين ومناقشاتهم ، وبما أخذه المسلمون عنهم .

(١) راجع أثر يحيى النحوي في المعتزلة فيما كتبه زهدى جار الله في

كتابه المعتزلة ، ص ٢٧

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩

(٣) الشهر ستامي : الملل والنحل ج ١ ص ١١٠

— جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٣

(٤) سورة النحل الآية ٢٩

كذلك إذا كان الكلام في القضاء والقدر قد وجد في الأديان بعامة ، فليس من الصواب بعدئذ أن نعد كل ما جاء من هذه الأفكار في الإسلام بصرائي الأصل (١) ، وإنما الأمر كما ذكرنا ، فهي إسلامية في مصدرها ، أما المؤثرات التي تناولتها فقد صاحبها في نشأتها ، وكان لها دورها في الوجوه التي اتجهت إليها ، ولعل الدكتور عبد الرحمن بدوي يريد أبعاد هذا الموقف إيضاحاً بقوله : ليس لنا أن نلتمس الأسباب التي دعت إلى نشأة هذه الفرق أو تلك الأخرى في مذاهب اليونانيين أو المذاهب الأجنبية ، وإنما الواجب علينا أن نلتمسها وما قالت به من نظريات وآراء في د كلة ، الله نفسها أي في القرآن ، فإنه هو لا عن المذاهب الفلسفية اليونانية صدرت الفرق الإسلامية المختلفة ، وكان البحث فيه هو نقطة البدء في نشأة كل فرقة من الفرق ، أما تأثر الفرق بالمذاهب الأجنبية فكان لاحقاً على نشأتها ، ويجب ألا ينال في أهميته وأن يتجه الباحث إلى القرآن أولاً يلتمس فيه هو وما يجر إليه نصه من نظر وأبحاث أصول الفرق والآراء (٢) .

(١) راجع أحمد أمين : ضمنى الإسلام ص ٣٤٦ مطبعة الاهتداء
(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية :
المقدمة ح .

البايع والشاس
حركة النقل في العصر العباسي

الفصل الرابع

أسباب الترجمة

لما جاء العصر العباسي كان المسلمون قد أمعنوا في التمدن ، « ورأوا أن حياة الحضارة لا بد أن تستند إلى العلم ، فالية الدولة تحتاج إلى حساب دقيق ، وحيمة الحضارة المركبة تحتاج إلى أدوية مركبة ، وعلاج مركب » (١) وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين مازالت مركزا للثقافة ، ومصدرا للإشعاع العلمي ، كما كانت تخرج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخذت الأنظار تتجه إليها تسائلها العون ، وتناشدها المساعدة . وكان المنصور قد أدركه ضعف في معدته ، وأصابه سوء استمراء ، وعجز مما لجوه عن مداواته ، فجمع الأطباء ، وقال لهم : « أريد من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما في عصرنا أفضل من جورجيس بن يحيى شوع رئيس أطباء جنديسابور ، فإنه ماهر في الطب ، وله مصنفات جليلة ، فتقدم المنصور بإحضاره فأنفذ العامل بجنديسابور إلى حضرة الخليفة بعد ما امتنع عن الخروج ولم يزل جورجيس يتلطف له في تدبيره حتى برى المنصور ، وعاد إلى الصحة ، وفرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل » (٢) .

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٦٥

(٢) القفطي : أخبار الحكمة ص ١٠٩ ، ١١٠ ط . السعادة

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢١٤

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣

ط . الوهية

وقد ظل جورجيس (١) في خدمة المنصور حتى تقدمت به السن ،
وبنى له مستشفى (٢) على طريقة مستشفى آل بختيشوع بجنديسابور (٣) .
وعندما جاء المهدي استقدم بختيشوع (٤) من جنديسابور ليعالج
ابنه المهادي ، ولكن الخيزران عز عليها أن يستدعيه المهدي ، ولا
يستطب أبا قریش طبيبها الذي كان يعرف بعيسى الصيدلاني ، (٥) فكان
ذلك سببا في أن يعيده المهدي إلى جنديسابور .

وفي أيام الرشيد أصابه صداع شديد ، وعجز أطباؤه عن مداواته ،
فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر وقال : بختيشوع يكون رئيس الأطباء

(١) كان جورجيس من السريانيين الذين ينتمون إلى طائفة النساطرة .

انظر إسرائيل ولفنسون : اللغات السامية ص ١٤٦

(٢) عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٨

(٣) « آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جدها هذا سرياني بمعنى حظ
يسوع . ويروي أن لها بقية في بغداد وهم بنو غنيمة ، وفي الصالحية وآل الحكيم
وفي دمشق آل لطفى وآل منعم .

عيسى معلوف : الأسر العربية المشهورة بالطب العربي ص ٦

— يرى ابن أبي أصيبعة أن معنى بختيشوع عبيد المسيح لأن في اللغة
السريانية البخت العبد ، وعنده أن البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد

من تعقيب ابن العربي في كتابه : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٤) انظر ترجمة بختيشوع عند القفطي : أخبار الحكماء ص ٧١

(٥) راجع أخبار عيسى الصيدلاني : ابن العربي : مختصر تاريخ

الدول ص ٢٢٠ .

كُلِّم ، وله يسمعون ويطيعون ، (١) وقد ذكر صاعد الأندلسي أن
« يحنثشوع له تأليف في الطب معروفة ، منها كتاب التذكرة ، وقد
عمله لابنه جبريل ، (٢) . وبعد موت يحنثشوع ، خلفه ابنه جبريل ،
وقد قام على علاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، كذلك برئت
جارية للرشيد بحيلة (٣) لطيفة استعان بها ، كما شفى الرشيد على يديه
من مرض ألم به بما دفعه إلى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه .

ولقد كان لنجاح الذي أحرزه هؤلاء الأطباء أثره في المكانة التي
وصلوا إليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة ، كانوا يعظمونهم لقدر
علمهم لا لدينهم ، (٤) .

وقد ذكر القفطي أن يحيى بن خالد البرمكي أحب جبريل عندما عالج
مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب (٥) ،
كذلك ذكر ابن أبي أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الألباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧

— انظر ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٢) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٠

— انظر القفطي : أخبار الحكماء ص ٧١

(٣) القفطي : أخبار الحكماء ص ٩٤

— الحموي : ثمرات الأوراق ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٤) عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣

(٥) أخبار الحكماء ص ٩٣

— ابن أبي أصيبعة : عيون الألباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٧

منه ، ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له إلى حاجة فليخاطب بها جبريل لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى ، (١) .
وقد ظل جبريل على هذه المكانة العالية فى عهد المأمون ، فكان كل من تقاد عملا لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلتقى جبريل ويكرمه ، (٢) .

وكا عمل نجاح هؤلاء الأطباء على تقريرهم إلى الخلفاء . كذلك استوعى الأنظار إلى ما كانوا عليه من علم غزير ، فاتجه الاهتمام إليه ، وتولدت الرغبة فى الاشتغال به ، والبحث فيه ، ونقله إلى اللغة العربية . يقول حاجى خليفة ، إن أول من هنى من العباسيين بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور ، (٣) ، وقد دفعته هذه العناية إلى أن يرسل إلى إمبراطور بيزنطة يطلب منه ما لديه من الكتب اليونانية ، فأجابه إلى طلبه ، وأرسلها له ، ومن بينها كتاب إقليدس ، (٤) .

وقد ذكر السيوطى ، أن المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية باللغة العربية ، (٥) .

وقد أسس الرشيد دار الحكمة ، كما أرسل رساله إلى

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء - ص ١٢٧

(٢) نفس المرجع - ص ١٢٩

(٣) - حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٢٤

- انظر صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٥

- انظر ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٥

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١

(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٠

الإمبراطورية (١) الرومانية لطلب المخطوطات ، ووضع يوحنا بن ماسويه أميناً على ترجمتها .

ولما جاء المأمون ، كانت حركة الترجمة قد بلغت ذروتها من حيث النشاط والدقة ، فزاد الاهتمام بدار الحكمة ، وأرسل إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المنحزوبة المدخرة ببلاد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلبا صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا بما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل (٢) .

وضح إذن أن الحاجة الماسة المباشرة هي التي ألجأت الخلفاء العباسيين إلى استخدام أطباء جنديسابور للإشراف على علاجهم ، فلما تقدمت صحتهم ، وشفوا من أمراضهم ، عرفوا فضل الثقافة الأجنبية والنتائج الطبية التي يمكن أن تحققها لهم ، فشففوا بها ، وأقبلوا على تعريب كتبها .

يقول جوستاف جرونيباوم « كانت العلوم المختلفة في القرون الوسطى في الشرق والغرب تعالج برغبة واحدة أساسها حب المعرفة والاصطلاح ، وإن لم يكن من الضروري أن تلقى نفس الدرجة من الاحترام ، ويلوح أن العرب كانوا يبدون رشاداً أعظم ، وتمعلاً أمتن في اختيارهم لما

(١) راجع أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٠

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٣ مطبعة الاستقامة

— انظر ابن أن أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ١٠ ص ١٨٧

يدرسون من أمور (١) .

وإذا كانت الحاجة وحدها هي التي دفعت إلى نقل المعارف الطبية ، فإن الأمر نفسه قد حدث في ترجمة الكتب الفلسفية والمنطقية . لقد كان عروف المسلمين عن ترجمة الكتب الفلسفية في صدر الإسلام واجتهاد الخلفاء في ألا يشيع شيء منها مبنيًا على إحساسهم بأن بعض مبادئها قد لا تتفق مع المعتقدات الدينية ، وهم حديثو العهد بالإسلام .

يقول حاجي خليفة ، كان المقصود من المنع هو إحكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام ، (٢) .

وحيث جاء العصر العباسي كانت دعائم الإسلام قد ثبتت وقوطدت ، وأصبحت عقائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم ، فتغيرت المسكنة التي كان يضع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها .

لقد وجدوا أنهم في حاجة إلى البحث فيها ودراستها ، والتزود بما تتيحه من وسائل في الجدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم ، والدفاع عن الإسلام .

يقول هوذه غرابية ، حين وجد المعتزلة النساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الإغريقية التي عرفوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية ، رغبوا هم أيضا في أن يتسلحوا بها ، فاستعانوا بالمنصور في ترجمة المنطق الأرسطي ، وهكذا كان المنطق أول علم من علوم

(١) جوستاف جرونبيوم : حضارة الإسلام ص ٤١

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤

الفلسفة بمعناها الضيق حصل له اشتباك بعلم الكلام الإسلامى (١) .
وقد تبنية القدماء إلى هذا الاتجاه ، يقول المقرئى ، وأقبلت المعتزلة
والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها ، كتب الفلاسفة ، وأكثروا من
النظر فيها ، والتصيح لها ، (٢) .
ويقول صاعد الأندلسى ، إن أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة
علم المنطق والنجوم ، (٣) .

ويذكر هنريش بيكر أن الإسلام تعرض في هذا العهد إلى هجمات
الغنوص ، وفي هذا العهد استعان الإسلام بالفلسفة اليونانية ، وعنى
بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية يشبه عالم العصر المدرسى في أوروبا
في المصور الوسطى ، فكان الإسلام الرسمى قد تحالف إذا مع التفكير
اليونانى والفلسفة اليونانية ضد الغنوص الذى كان خليطا من المذاهب
القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص ، (٤) .

ومن هذا يتبين أن الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعان بها المسلمون
بعمامة والمعتزلة بخاصة في نصره الإسلام ، ويؤيد ذلك تأكيدا ما يذكره
الخطيب في قوله : « ولقد أخبرنى عدد من أصحابنا أن لإبراهيم النظام
رحمه الله ، قال وهو يجود بنفسه : اللهم إن كنت تعلم أنى لأقصر فى

(١) حمودة غرابة ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٢٦

(٢) المقرئى : خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٥٧

(٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٦

(٤) هنريش بيكر : قرات الأوائل فى الشرق والغرب . ترجمة الدكتور

عبد الرحمن بدوى ص ١١

نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهباً من المذاهب اللطيفة إلا لأشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف ، فأنا منه براء ، اللهم إن كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت ، (١) .

ولقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد عبده فى قوله « تفرقت السبيل بأقباع واصل ، وتناولوا من كتب اليونان مالاق بمقولهم ، وظنوا من التقوى أن تؤيد العقائد بما أثبتته العلم ، (٢) .

ولعل هذه النقطة التى انتبهنا إليها تزداد وضوحاً لو أننا عدنا إلى دراستها دراسة جذرية تستهدف التعرف على طبيعة المواقف المماثلة وما تؤدى إليه من نتائج متشابهة ، إذ أن محاولة تطبيق المبادئ الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر المباهى ، كذلك لم يكن المسلمون هم أول من حاولوا التوفيق بين العلم والدين ، فلقد شغلت هذا المسائل جانباً كبيراً من تفكير اليهود والمسيحيين قبلهم ، « ولقد كان أفلاطون وأرسطرقد سادا على كل تفكير منظم ، وما كان يد من تأسيس فلسفة يهودية ، وفلسفة مسيحية ، ثم بعداذ فلسفة إسلامية للتوفيق بين العقل والدين ، (٣) .

ولقد حاولت الفلسفة اليهودية ذلك فى الإسكندرية على يد فيلو ، وفى القرن الخامس ثار نقاش حول شخصية المسيح ، مهد السبيل إلى

(١) الحياط : الانتصار ص ٤١

(٢) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ١٥

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق ترجمته محمد يوسف

إشاعة المعرفة بكثير من المشكلات الفلسفية ، ذلك لأن فلسفة أفلاطون وأرسطو ، هي التي كانت توجه المناقشات التي أثارها في الكنيسة آريوس ولسطور ويوتيميس وآخرون ، كما أنها هي التي اقترحت المسائل التي بحثت ، كذلك كانت الحلول التي خرج بها المتناقشون بمثابة نتائج لهذا التناول الفلسفي ، (١) .

وليس من شأننا هنا أن نخوض في ذكر المذاهب الدينية التي ثارت حولها هذه المناقشات ، ولكن هذا لا يعني أننا لانعطيها أهميتها ، أو نقلل من شأنها ، فقد يكون من اليسير على الباحث الحديث أن يسخر من هذه المناقشات العنيفة التي دارت حول تفصيلات التعميد الفلسفي ، ولكن الأساس الحقيقي لهذا الموضوع كان يقوم على مشكلة التوفيق بين العلم والدين ، وقد ذهب قادة الكنيسة إلى أن هذا يستطاع ، ويجب أن يحدث ، فإذا كان العلم - كما كان يفهم في هذه الفترة - والدين كلاهما صحيح ، فإنه ينبغي أن يتفقا في كل الاحتمارات ، وتجسد الله في المسيح ينبغي أن يخضع للدرس العلمي ، وكان المفروض حينئذ أن العلم هو الغاية ، ولم يكن يشك أحد في هذه الأيام أن المعرفة العلمية جزئية متزايدة (٢) .

ويميننا هنا إلى جانب بيان أن المسيحيين حاولوا التوفيق بين العلم والدين في مناقشاتهم حول شخصية المسيح أن نشير إلى أنه وربما كانت أبرز نقطة هي اتخاذ المنطق الأرسطي وسيلة للبحث والمناظرة ، ومع

(1) O'Leary : How Greek science passed to the Arabs P 45

(2) O'Leary : Arabia before Muhammad P151.

أن الطوائف المسيحية اختلفت في عقائدها إلا أنها كلها قد قبلت منطق أرسطو كطريقة تستخدم في البحث والجدل (١) ، كذلك استعانت المسيحية بالفلسفة في رد آراء المعترضين عليها حتى أننا انرى سمات التفكير الفلسفى عند كثير من القساوسة . ولقد عرض لذلك أ. وولف فقال : « وجدت المسيحية لى تصد حملات النقاد المهاجمين من المستحسن أن تستخدم شيئا من الجدل الفلسفى ، ومن هذا كانت الكتابات المؤيدة للمسيحية التى كتبت فى عصر آباء الكنيسة مصبوغة بشيء من الأفلاطونية ، وبعض مذاهب الأفلاطونية الحديثة كالكمة ، وزيادة على هذا كان بعض القساوسة الأولين وخاصة سانت أوجستين (٣٥٤ - ٤٣٠ م) مفكرين وثنيين قبل أن يهيموا مسيحيين مؤمنين ، ولم يستطيعوا التخلص كلية من مناحيهم الفلسفية » (٢) .

وحين أراد السريان الذين كانوا يديشون فى منطقة النفوذ الفارسى نشر المسيحية بالشكل النسطورى ، كان لا يمكنهم ذلك طبعاً بغير مساعدة العلم النظرى ، والفلسفة اليونانية ، فلسفة أرسطو وأفلاطون ولاسيا منطق أرسطو الذى هو الأداة الثمينة للجدل والمناظرة ، فتحتم على كل مبشر منهم أن يكون ذا علم وإلمام بفلسفة اليونان ، (٣) بل إن كل مبشر أصبح معداً للفكر الأرسططاليسى الحديث الذى تقوم عليه المناقشات ،

(1) Olesary : How Greek science passed to the Arabs P46.

(٢) أ وولف : عرض تاريخى للفلسفة والعلم ص ٤٥ - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف .

(٣) الدكتور أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٧٢

والذى بدونه لا يستطيع فهم مرماها بما أدى إلى قيام حركة نقل كبيرة تستهدف ترجمة كتب أرسطو وغيرها من كتب الفلسفات والرياضيات .
وجدنا إذن أن الفلسفة طبقت على الدين قبل الإسلام ، كما استخدم المنطق في الجدل الدينى ، وعرف المسيحيون بوجه خاص أهميته في نصرة آرائهم . فلما جاء العصر العباسى واحتدم النقاش بين الفرق الإسلامية ، أقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم على كتب الفلاسفة ، وأكثروا من البحث فيها ليستعينوا بما تتيحه لهم من ثقافة ومعرفة في مناقضاتهم ، وفى ردهم على خصومهم من أهل الأديان الأخرى ، ولم يكن الاطلاع على هذه الكتب ميسراً لعدم معرفة هؤلاء باللغة اليونانية ، لذا كان عليهم أن يعتمدوا على الترجمات التى يقوم بها من يقدر عليها .
يقول الدكتور إبراهيم العدوى ، وما يجدر بالملاحظة فى هذا الصدد أن معظم الذين اضطلعوا بترجمة الكتب اليونانية كانوا من السريان أى المتكلمين باللغة الآرامية الشرقية ، (١) .

ويقول دى بور ، والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعا يكونون من السريان ، ونقلوا ما نقلوه إما عن التراجم السريانية القديمة ، أو عن تراجم أصلحوها ، أو قاموا بها من جديد ، (٢) .

ويقول جويدى ، ومن الجيل الثانى للهجرة إلى الرابع نقلت كتب اليونان إلى السريانى ، ومن السريانى إلى العربى لأن السريان كانوا

(١) الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٧٠

(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٨

يتعلمون اليونانية والعربية في مدارسهم ، ولقد كان للسريان اليد الطولى في هذا النقل ، (١) .

رأينا أن الرغبة في سلامة الأبدان ، ونصرة الدين هي التي دفعت إلى نقل المعارف الطبية والفلسفية . وبما يؤكد ذلك ، أن هذه الحركة العلمية والأدبية لم تستغل الأدب اليوناني كما استغلت العلم اليوناني والفلسفة اليونانية استغلالا كبيرا ، فلم ينقل المسلمون ملاحم اليونان ، ولارواياتهم التمثيلية ، ولا شعرهم ولا سائر فنونهم الأدبية ، (٢) .

وقد علل البعض ذلك (٣) ، بأن المسلمين لم يتذوقوا الأدب اليوناني لبعده عن الذوق العربي ، ولأنه ملوئ بالآلهة التي تنفر منها عقيدتهم ، ولأن البيئة اليونانية الاجتماعية التي أنتجت أدبهم مخالفة تمام المخالفة للبيئة الإسلامية مما يجعل تذوقه عسيرا .

ولكن هذه الأسباب مجتمة ما كانت لتستطيع أن تسد المنافذ دون هذا الأدب لو أن المسلمين في هذه الفترة أحسوا بحاجة ما إليه .

والواقع أن السبب الذي حال دون ترجمة الأدب اليوناني يتركز في إحساس العرب الفطري بتفوقهم في مجال البيان ، وشعورهم بأنهم دون سواهم قد أوتوا الامتياز في الشعر ، فهم ليسوا في حاجة إلى أدب غيرهم .

يقول الجاحظ . ، وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ١٠ .

(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الأدب في العالم ص ١٠٠ .

(٣) المرجع السابق .

تكلم بلسان العرب ، والشعر لا يستطيع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل (١) ، ولم تقم حركة الترجمة استجابة لدافع الحاجة الملحة وحده ، وإنما كانت هناك أسباب أخرى استحثت المسلمين على الاشتغال بها ، فقد كانت اللغة العربية تنتشر بالتفشار الإسلام ، وحين جاء العصر العباسي كانت قد تغلبت على ألسن أهل البلاد التي دخلت فيها ، وأصبحت لغة الإنشاء والتأليف .

يقول نالينو : « إن وحدة الدين استوجبت أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة في التمدن الإسلامي الجديد » (٢)

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء في العصر العباسي إلى العلوم الفلسفية ، والخلفاء عادة أقدر على الترويج فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون إلى تحقيق أغراضهم ، والولوع بها أولعوا به ، (٣) .

يقول ابن خلكان « كان المأمون مغرما بتعريب الكتب وتصويرها وإصلاحها » (٤) .

ويقول صاعد الأندلسي « لما أفضت الخلافة إلى عهد الله المأمون طمعت نفسه الفاضلة إلى إدراك الحكمة ، وسعت به همته الشريفة إلى

(١) الجاحظ : الحيوان ج١ ص ٧٤

(٢) نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٦٦

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٢٠٩

الإشراف على علوم الفلسفة ، (١) .

ويقول صاحب فوات الوفيات ، لما كبر المأمون عني بعلوم الأوائل
ومهر في الفلسفة ، (٢) .

ويقول الدكتور أحمد الرفاعي ، إن هذا الميل إلى الفلسفة والمنطق
عند المأمون كان من آثاره حركة نقل وتأليف عنيفة قوية (٣) ، ولقد
قولك ميل الخلفاء إلى الفلسفة من الظروف التي لا بدت لتأليفهم وحياتهم .
فالرشيد تلقى ثقافته في مرو موطن الدراسات الرياضية والفلكية ، وكان
يستوزر جعفر بن برمك الذي كان يشجع الترجمة ، ويعين المترجمين من
أمثال جبريل بن بختيشوع ، كما تربى المأمون في بيت الرشيد وبإشراف
البرامكة ، ويذكر أوليري ، أنه لكون المأمون تلقى ثقافته في مرو في
عبط الهلينية الحديثة طبق القواعد الفلسفية على العقائد الإسلامية (٤) .

وقد أولع أهل ذلك العصر بما أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على
تنشيط حركة النقل والترجمة ، وعن عني بإخراج الكتب محمد وأحمد
بنو موسى بن شاكر ، وهؤلاء القوم ممن قنأه في طلب العلوم القديمة ،
وبذل فيها الرغائب ، وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا إلى بلد الروم

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٨

— انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤

— انظر ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

(٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩

(٣) الدكتور أحمد الرفاعي : عصر المأمون ص ٣٧٨

(٤) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٣

من أخرجها إليهم ، فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل
السني ، فأظفروا عجائب الحكمة ، وكان الغالب عليهم من العلوم :
الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم (١) ، وبلغ من اهتمامهم
بأمر الترجمة أنهم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن
اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم في الشهر نحو
خمسة دینار للنقل والملازمة ، (٢) .

وإذا كانت دوافع الترجمة قد اقتضت لنا فيما عرضنا له من أسباب ،
فإيه يكون من حقنا ألا نقنع بما يسوقه صاحب الفهرست وهو يفسر
اندفاع المأمون في ترجمة الكتب اليونانية فقد قال : « لأنه رأى في
منامه رجلا أبيض اللون ، مشربا حمر . . . جالسا على سريره . قال
المأمون : وكأني بين يديه قد ملئت له هبة . فقلت من أنت ؟ قال
أنا أرسطاليس ، فسررت به وقلت : أيها الحكيم ! أسألك ؟ قال :
سل . قلت : ما الحسن ؟ قال : ما حسن في العقل . قلت ثم ماذا ؟

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٢ و ٣٩٣ مطبعة الاستقامة

— انظر أيضا ص ٣٥٣ من نفس المرجع

— القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٠٨

— تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٥٢

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٤

— جوستاف جرونبيوم : حضارة الإسلام ص ٧٧ ، ٧٨

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ مطبعة الاستقامة

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧

قال : ما حسن عند الجمهور . قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . فكان هذا المنام من أركد الأسباب في إخراج الكتب (١) .

وقد ترددت هذه الرواية عند كثير من المؤلفين القدماء (٢) والمحدثين مع تغيير في بعض الالفاظ .

وتأثر جوستاف جرونيباوم بهذه الرواية . فذكر أن المأمون بعد أن رأى هذا المنام عزم على طلب الكتب من الإمبراطور ، فوافق الإمبراطور على الطلب بعد شيء من التسوية ، وعند ذلك أرسل المأمون بعض العلماء إلى القسطنطينية للحصول على المخطوطات ، وأرسل فيمن أرسل سلما صاحب دار الحكمة (٣) .

هذا المنام لا يرقى في نظرنا إلى أن يكون سببا يدفع المأمون إلى الاهتمام بأمر الترجمة ، فهو بعيد عن الحقيقة ، ومن المستحيل ألا يسمع المأمون باسم أرسطو حتى يأتيه في المنام ويقول له أنا أرسطو (٤) ، فضلا عن ذلك ، فإن هذه الرواية تحمل الصدق والكذب (٥) .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٣ مطبعة الاستقامة

(٢) راجع القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٥٠ ص ١٨٦

— انظر الدكتور أحمد الرفاعي عمر المأمون ص ٣٧٨

(٣) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٧٧

(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٦٨

(٥) جريدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٩

الفصل السابع

مبادئ الترجمة والعاملون فيها

أشرت من قبل إلى أن حركة النقل والترجمة بدأت في عهد المنصور من اليونانية والسريانية ، وينقسم تاريخ هذه الحركة إلى ثلاثة أدوار .
الدور الأول : من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد (١٢٦ — ١٩٣ هـ) ومن قاموا بالترجمة فيه يحيى بن البطريق وجورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماسويه .

الدور الثاني : من ولاية المأمون سنة ١٩٨ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ ومن اشتهروا فيه : قسطنطين لوقا البعلبكي ، وحنين بن إسحاق ، وابنه إسحاق بن حنين ، وثابت بن قررة ، وحليش بن الحسن .

الدور الثالث : من سنة ٣٠٠ هـ إلى منتصف القرن الرابع ومن مؤرخيه متى بن يونس . وسنان بن ثابت بن قررة ، ويحيى بن عدي وأبو علي بن زرعة .

غير أن هذا التقسيم يجب ألا يمسى أن هناك حدودا فاسلة تضع البداية والنهاية لكل دور ، فالظواهر الفنية ، والحركات الأدبية متداخلة متشابكة ، وفضلا عن ذلك فإننا نجد الكثيرين ممن قاموا بالترجمة والنقل قد عاصروا أكثر من دور من تلك الأدوار . فيوحنا بن ماسويه (١) مثلا قد خدم الرشيد والأمين والمأمون والمنتصم والواثق والمتوكل .

(١) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج١ ص ١٧٥

والآن نعود الى تفصيل القول في حياة المترجمين ، وجهودهم في حركة النقل .

يوحنا بن البطريق : عاش في أيام المنصور ، واختلف في تاريخ وفاته فيما بين عام (٧٩٨ م وعام ٢٨٠٦ م) ، وكان ممن يقرأ عليهم كتاب إقليدس ، وغيره من كتب الهندسة ، وله نقل من اليونان (١) ، ذكره القفطي فقال « كان أميناً على الترجمة ، حسن التأدية للمعاني ، لكن اللسان في العربية ، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب ، وهو تولى ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة ، وترجم من كتب بقراط مثل حنين (٢) وغيره ، ومن الكتب التي نقلها كتاب الأربعة في علم النجوم (٣) ، واستخرجه في أيام المنصور ، ثم نقله ثمانية لإبراهيم بن الصلت ، وأصلح هذه النسخة حنين بن إسحاق . »

ويرى أوليري (٤) أن يوحنا وضع ترجمة عربية لمؤلف في التنجيم لبطليموس ، وقد كتب عمر بن الفرخان المتوفى حوالي ٨١٥ م تعليقا على هذا الكتاب ، وشرحه محمد بن جابر بن سنان ٩٢٩ م . وربما كان هذا هو كتاب الأربعة في علم النجوم .

ويروي أن يوحنا بن البطريق « أخرج قصة طيساوس لأفلاطون ،

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٠٧ مطبعة الاستقامة

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤٨ مطبعة السعادة

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٩

(٣) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ١١

(٤) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ص ٤٧ وانظر ص ٢٢٩

وأنه ترجم أيضا كتاب أرسطو في الآثار العلوية وكتاب الحيوان ،
ومختصرا له في النفس ، (١) .

جورجيس بن جهرايل (٢) : عاش في صدر الدولة العباسية ، يقول
عنه ابن أبي أصيبعة أنه « أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية إلى اللسان
العربي عندما استنداه المنصور ليملأه (٣) » من ضعف أدركه في
معدته وسوء استمراره ، وقلة شهوة ، وقد برى المنصور على يديه ،
وعادت إليه صحته ، ففرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب إلى كل
ما يسأل (٤) .

وقد نقل جورجيس للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى
العربية ، وقد عرف من كتبه كفاشه (٥) ، ونقله حنين ابن إسحاق من
السرياني إلى العربي .

ولقد كان نجاح جورجيس في علاج المنصور دافعا للخلفاء العباسيين

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٢

— أشار القفطى إلى ترجمته لهذه الكتب بقوله « ولا بن البطريق جوامع هذا
الكتاب » الآثار العلوية ، « كتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة نقله ابن
البطريق ، أخبار الحكماء ص ٣١

(٢) انظر ترجمته : ابن النديم الفهرست ص ٤٢٦

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٣

— أنظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥

(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٠

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٥

على أن يستقدموا أفراد أسرته لكي يباشروا علاجهم ، ومن أفراد هذه الأسرة ونعتى بها أسرة آل بختيشوع الذين وفدوا إلى بغداد .

بختيشوع بن جورجيس (١) : وله تأليف في الطب ، منها كتاب التذكرة وقد عمله لابنه جبريل .

وجبريل بن بختيشوع : وقد اهتم بأمر الترجمة إلى العربية كما شجع تهذيب الترجمات السريانية .

يوحنا بن ماسويه (٢) (توفي ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م) وكان ممن قدموا من جنديسابور ، ومن هذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والاساقفة قد ذهبوا إلى قصور الخلفاء في بغداد أو سرمن رأى ، (٣) .

وكان يوحنا سريانيا نسطوريا ، وقد ولاء الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدت بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتاحها المسلمون ، وسبوا سبيها ، ووضعه أمينا على الترجمة ، ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه ، (٤) .

وقد أقام يوحنا مستشفى في بغداد ، كذلك جعله الخليفة المأمون في سنة ٢١٥ هـ = ٢٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة .

(١) راجع أخباره . القفطي : أخبار الحكماء ص ٧١

— صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٠

(٢) راجع ترجمة ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ ، ٤٢٦

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٦ .

(٤) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤٩

- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥

وقد ألف يوحنا كتباً كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتاباً (١) منها كتاب البرهان وكتاب دغل العين . وعربية هذا الكتاب ركيكة مع استعمال اصطلاحات إغريقية وسريانية وفارسية ، (٢) .

وكان يوحنا د يعقد مجلساً فنظراً ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ، ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون (٣) د وقد تقلد عليه حنين بن إسحق فترة من الزمان .

قسطنطين بن لوقا البعلبكي د توفي حوالي ٥٣٠٠ = ٩١٢ م ، مسيحي النحلة ، من أصل يوناني . ولذا يعد (٤) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان له ولع بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهراً في الطب .

وقد ذكر ابن العبري أنه د دخل إلى بلاد الروم ، وحصل من تصانيفهم الكثيرة ، وعاد إلى الشام (٥) كما ذكر القفطى أنه د استدعى

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤٩

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٣

— ابن النديم : الفهرست ص ٢٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

— ماكس مايرهوف : العشر مقالات في المين : المقدمة ص ٦

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧

(٤) صاعد الأندلسي : طبقات الأئمة ص ٣٠

(٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٩

— القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤

إلى العراق ليترجم كتبها ويستخرجها من لسان يونان إلى لسان العرب (١) ،
كما أسند إليه الإشراف على ترجمة المراجع الإغريقية في بغداد (٢) .
وكان قسطا جيد النقل لأنه كان فصيحاً باللغة اليونانية جيد العبارة
العربية (٣) ، ويشير ماكس مايرهوف إلى ما نقله فيقول : إنه ترجم
كثيراً من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم إلى جانبها
مؤلفات فلسفية صحيحة أو منهولة (٤) .

وقد أصاح (٥) قسطاً نقولاً كثيرة ، كما ألف رسالة قصيرة في
الفرق بين النفس والروح ترجمت إلى اليونانية ، وبقيت إلى أيامنا ، وقد
ذكرها الباحثون واتفقوا بها (٦) .

حنين بن إسحق (ولد سنة ١٩٤ هـ = ٨١٣ (٧) وتوفي ٢٦٠ هـ =

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٧٣

(٢) راجع الدكتور إبراهيم العنوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم
ص ١٧٠

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٤

(٤) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٩

(٥) راجع ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٤٤

(٦) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٤

— وردت هذه الرسالة ضمن مذكره له القفطى من الكتب. أخبار الحكماء.

ص ١٧٣

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ ويقع في ذلك القفطى : أخبار الحكماء

ص ١١٩

— أبو الفدا : ج ٢ ص ٥٢

— ولكن ابن أبي أصيبعة يجعل وفاته ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م عيون الأنباء في

==

طبقات الأطباء ج ١ ص ١٩٠

(٨٧٣م) وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة ، وكان يشتغل بالصيدلة قلبيا نشأ حنين أحب العلم ، ودرس الطب في مدرسة جنديسابور ، وحضر مجالس يوحنا بن ماسوية في بغداد (١) ، غير أن يوحنا أنكر عليه تعلم الطب لأنه من أهل (٢) الحيرة ، ولأن هؤلاء الجنديسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ، ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم (٣) ، ويرى ماكس مايرهوف أن حنينا كره من أستاذه ماجبل عليه من

-
- == — ويرجح رأيه ماكس مايرهوف في مقدمة (كتاب العشر مقالات في العين) ص ٢٧
- ولكن أوليرى يرى أن ابن أن أصيصة في الغالب غير دقيق في ذكر التواريخ . مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩
- (١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠
- يرى أوليرى أن حنينا حضر في شبابه محاضرات ابن ماسوية في جنديسابور ، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦
- (٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠
- اقرن ذلك بقول ظهور الدين البيهقي عن حنين ، وكان بغدادى المولد وقد نشأ بالشام وتعلم بها ، تاريخ حكماء الإسلام ص ١٦
- (٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠
- ابن أن أصيصة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ١٨٥
- تم صلح بين حنين وبين يوحنا بن ماسوية بعد ذلك . أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩
- راجع صلة حنين بعد نبوغه بابن ماسوية والكتب الكثيرة التي نقلها له ابن أن أصيصة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ١٨٦

غطرسه وكبرياء (١) ، وصمم على تعلم اللغة اليونانية لأنه رأى فيها خير مساعد له على إرواء غلته من الثقافة الطبية ، وقد اندفع بقوة في هذا الاتجاه حتى أنه و برىء من دين النصرانية إن رضى أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني لإحكاما لا يكون في دهره من يحكمه لإحكامه (٢) ، فسافر إلى بلاد الروم (٣) وهناك ، أحكم اللغة اليونانية وتوصل في تحصيل كتب الحكمة غاية إمكانه (٤) .

وكما تعلم حنين اللغة اليونانية بإحساس من الحاجة إليها ، كذلك نجد أنه ، وهو أحد أبناء الحيرة اضطر إلى تعلم العربية في وقت متأخر من من حياته حيث كانت الطبقات الدنيا في الحيرة تتكلم السريانية ، (٥) فقصده البصرة وكانت في ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية

-
- (١) ماكس مايرهوف : مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ص ١٥
 - (٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الألباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٥
— القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٠
 - (٣) القفطي : أخبار الحكماء ص ١١٩
— أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦
 - (٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .
— اقرن ذلك بقول ماكس مايرهوف عن حنين أنه أمضى في مكان مجهول سنوات عدة سدى فيها اللغة اليونانية ، .
— مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥ .
 - (٥) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٩٩

وعلقتى أقطابها ، يقصدها الطلاب من كل حدب ليحذقوا ويفهموا (١) ، وهناك لزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي ، (٢) وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربعا هي (٣) الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التي هي لغته الأصلية . ولقد أصابته ذلك على أن ينقل الكتب إلى السريانية وإلى العربي .

وحوالي سنة ٢١١ هـ اتصل حنين بجبريل بن بختيشوع طبيب المأمون فامتدح ذكاه ، قال يوسف الطيب دخلت يوما على جبريل بن بختيشوع فوجدت عنده حنينا ، وقد ترجم له بعض التشريح وجبريل يخاطبه بالتهجيل ويسميه الرهبان ، فأعظمت مارأيت ، وقين ذلك جبريل مني ، فقال لي لا تستكثر هذا مني في أمر هذا الفتي ، لئن مدله في العمر ليفضحن سرجيس (٤) . و سرجيس هذا هو الرأس عيني من نقل علوم اليونانيين إلى السرياني .

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١١٨

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

— أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

— من المؤرخين من يرى أن الخليل بن أحمد كان بأرض فارس فلزمه

حنين حتى برع في لسان العرب

— انظر في ذلك صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٠

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ١٣ ص ١٨٥

(٣) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥

(٤) راجع ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

— انظر القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٠

ولقد بلغ من سرور جبريل بحنين وإعجابه بروعة ترجماته أن قدمه لابن سناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء ، يقول القفطي فيهم : وعن عني بإخراج الكتب من بلاد الروم محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم . وقد بذلوا في ذلك الرغائب ، وأحضروا الفرائب منها في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب وغيرها (١) ، فاحتضنه هؤلاء ، وكانوا أصحاب الفضل في إظهار مواهبه كما كانوا يجذبون له العطاء وقدموه (٢) بدورهم إلى الخليفة المأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة (٣) .

ويذكر ابن أبي أصيبعة : أن المأمون أحضره ، وكان قتي وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العرب وإصلاح ما ينقله غيره ، فامتثل أمره (٤) ، وقام بما أسند إليه خير قيام ، وظل يوالي النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل (٥٣٢ - ٥٣٤٧) .

يقول ابن العبري : ولم يزل أمره (حنين) يقسوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر في النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم ، ومعدنا للفضائل ، واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر بإحضاره (٥) واختاره للرجة واثمنه عليها ، وجعل له كتابا بحارير عالمين بالترجمة كانوا

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤

(٢) راجع أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

(٣) ماكس مايرهوف مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٦

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء

(٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١

يترجمون ويتصفح ما ترجموا (١) .

ولقد كان ميل حنين إلى الطب وممارسته (٢) له دافعا له على أن يهتم ، بنقل الكتب الطبية وخصوصا كتب جالينوس حتى أنه في أغلب الأمر لا يوجد شيء من كتب جالينوس إلا بنقل حنين أو بإصلاحه لما نقل غيره ، (٣) كاصطفى بن بسيل ، وموسى بن خالد ، ويحيى بن هارون . ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن حنينا ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وثلاثين كتابا ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين (٤) .

كذلك ذكر أنه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها إليها لعلماء النصارى وأطبائهم ، بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها إليها لعظماء المسلمين (٥) .

ويذكر سويتان (٦) أن حنينا كان يترجم إلى اللغة السريانية ، ثم ينقل ابنه إسحق ما يترجمه إلى اللغة العربية .

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة

— النظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٩

(٢) راجع قصته مع المتوكل فى المرجع السابق ج ١ ص ١٨٧ .

— ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٨

— نفس المرجع ص ٢٠٠

(٤) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٨

(٥) نفس المرجع : ص ٣٧

(6) Islam and Christian Theology. V. 1 p 88.

ويقرر أوليرى ، أن بعض ترجمات حنين قد فقهها فيما بعد كتاب متأخرون (١) .

والواقع أن هذا المسلك قد يشير الشك في معرفة حنين باللغة العربية . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى ، كان يغلب عليه ، حنين ابن إسحق ، أن يترجم من اليونانية إلى السريانية ، ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية إلى العربية ، وهو أمر غريب حقا لأن حنين ابن إسحق كان يتقن العربية إتقاناً مدعشاً ، فإذا يدعوهم إذن إلى اتخاذ هذا الطريق الملتوى الغريب (٢) .

والموقف يتضح إذا ما عدنا إلى قول أوليرى ، إن حيننا اضطر إلى تعلم العربية في وقت متأخر من حياته (٣) . فكان أن قصد البصرة (٤) ولازم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي .

لا غرابة إذن في أن يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية إلى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجماته بالتنقيح والتهديب ، ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجة إلى إتقان العربية ، هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد ترجمة الكتب التي كان قد ترجمها في صدر حياته إلى العربية عندما أحس تفوقه فيها . ولقد

(١) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ترجمة الدكتور وهيب كامل ص ٢٢٨ .

(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوى : فن الشعر لأرسطوطاليس التصدير ص ٥١

(٣) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٩

(٤) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥

— راجع القفطي : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة

استطاع حنين بفضل تضلعه في اليونانية أن يوضح معاني كتب جالينوس ،
ويلاحظها (١) أحسن قلخيص ، ويكشف ما استغلق (٢) منها ، ويقدم لها ،
فن ذلك ما فعله في كتاب الفصد إذ نقله من اليونانية إلى العربية ،
وهذه ، وزاد فيه مقدمة فيما يجب على الطبيب اعتياده في الصنعة
والعلاج ، وتلاه بكلام جالينوس في الفصد (٣) .

ولم ينحصر نشاط حنين في نطاق ترجمة الكتب الطبية فقد قيل إنه
عرب كتاب إقليدس (٤) ، وكتاب بطليموس (المجسطى) أكبر كتبه
الفلكية ، وأصلحها ونفعها .

كذلك عرب حنين عددا كبيرا من كتب بقراط وأرسطو ، كما
جعل المنهج الكامل في مدرسة طب الإسكندرية في متناول أيدي
الطلاب العرب ، واشتمل على مجموعة مختارة من كتب جالين (٥) ،
فأفاد الأمة العربية إفاة جريئة (٦) ، إذ لولا ذلك التمريب الذي قام به حنين

(١) راجع صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤١

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٠٠ ص ١٨٩

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٢

(٤) تاريخ أبي الفدا ص ٢٠ ص ٥٢ طبع القسطنطينية ١٢٨٦ هـ

— يذكر ابن خلكان (أنه نقل كتاب إقليدس من اللغة اليونانية إلى اللغة

العربية ثم جاء ثابت بن قررة فنقحه وهذه ، وكذلك كتاب المجسطى)

— وفيات الأعيان ص ١٠ ص ٢٠٩ مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ

(٥) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

(٦) راجع دائرة معارف الهسائي : المجلد السابع ص ٢٥٣ مادة حنينوس

وغيره من المترجمين ، لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان ، لا جزم كل كتاب لم يعرفوه باق على حاله ، ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة (١) .

ولم يشأ حنين أن يقف عند حد النقل والتعريب ، فقد أحس قدرته على التأليف في هذه الموضوعات التي طالما اشتغل بالترجمة فيها ، وقد أورد القفطي قائمة (٢) كاملة لمؤلفاته ، وقد كانت باللغتين السريانية والعربية ، وكانت كتبه الطيبة صورة منعكسة لكتب أطباء اليونان التي استفد في ترجمتها أم قسط من نشاطه في حياته العلمية ، وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أم كتبه (٣) و تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس ، وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية ، و المسائل في الطب ، وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة ، ثم كتاب العشر مقالات في العين ، وكتاب المسائل في العين .

ويرى أوليري ، أن الفضل في حنين يجب أن ينسب إلى جنديسابور بالرغم من أن معلوماته الأوسع والأدق إنما جاءت عن طريق بلاد الإغريق لأن هذه الأسفار والدراسات لم يدفعه إليها إلا ما تعلمه في جنديسابور (٤) .

إسحق بن حنين ، توفي سنة ٢٩٨ هـ وقيل سنة ٢٩٩ هـ ، كان يلحق بأبيه في صحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية إلى العربية ، وقد

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٢ ص ٢٠٠ ط. بولاق ١٢٩٩ هـ

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠

(٣) مقدمة العشر مقالات في العين من ص ٣٣ — ٣٩ المطبعة الأميرية ١٩٢٨ م

(٤) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

خلفه (١) على الترجمة ، وكان بارعا ومقدما في العلوم الرياضية ، كما تميز في صناعة الطب (٢) .

وقد نقل إسحق من الكتب اليونانية إلى اللغة العربية كتبا كثيرة ، إلا أن (٣) جل عنايته كانت مصروفة إلى نقل الكتب الحكمية ، يشير ابن خلكان إلى ذلك أيضا بقوله : إن الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب (٤) ، ويعمل ابن العبري ذلك بقوله : إن نفس إسحق كانت أميل إلى الفلسفة (٥) .

ومن المؤلفات التي نقلها إلى اللغة العربية أصول الهندسة لإقليدس ، وأصلحه فيها بعد ثابت بن قرة ، وكتاب المعطيات لإقليدس أيضا ، ثم كتاب المجسطى لبطليموس ، وقد أصلحه كذلك ثابت بن قرة . يقول القفطي : أصلح ثابت النسخة التي نقلها إسحق بن حنين من المجسطى إلى العربي لإصلاحا قضى فيه حق من سأله ذلك أو حق إسحق (٦) . ويذهب ماكس مايرهوف إلى أن السبب في أن ما ترجمه إسحق قد أصلحه غيره يرجع إلى أن معلوماته في اللغة العربية كانت قليلة جدا

(١) انظر صاعد الأندلسي : طبقات الأمام ص ١٤ ط. محمد مطر

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ١٥ ط. بولاق

(٣) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٣ ط. ١٨٨

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ١٥ ط. بولاق

— انظر دائرة معارف البستان المجلد الثالث ص ٤٥٣

— انظر البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق

(٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢

(٦) القفطي : أخبار الحكماء ص ٨٣ مطبعة السعادة

بحيث أنه لم يتمكن من حسن الترجمة (١) ، غير أن ابن النديم يقول ، وكان فصيحا بالعربية يزيد على أبيه في ذلك (٢) ، والقفطى (٣) يردد ما قاله ابن النديم بنفس الفاظه . ويبدو لي أن تفوق إسحاق على أبيه في العربية لا يعنى أنه كان يتقنها إذ أن معرفة حنين بالعربية كانت قاصرة في مستهل حياته .

وقد نقل إسحاق بن حنين من كتب أرسطو المقولات ، والجدل ، والعبارة ، والخطابة ، ولا يستطيع أن يتبين أى هذه الكتب نقل عن السريانية ، وأياها نقل مباشرة عن اليونانية (٤) ، كذلك لا نعرف على وجه التحقيق إذا كان بعض هذه الترجمات قام به إسحاق أو أبوه حنين ، ومرد ذلك إلى أنها كانا يشتغلان معا .

ويبدو أن إسحاق كان قد أسلم إذ يقول البيهقي عنه ، وإسحاق بن حنين كان من جلة المسلمين ، وقد حسن إسلامه ، وأشركه المكتفى في بيعة ابنه مع وزيره العباس بن الحسن (٥) .

ثابت بن قررة ، ولد سنة ٢٢١ هـ بجران وتوفي سنة ٢٨٨ هـ ، كان من الصابئين (٦) من أهل حران ، وقد تناهت إليه زعامتهم .

-
- (١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ٣١ المطبعة الأميرية
 - (٢) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٩ مطبعة الاستقامة بالقاهرة
 - (٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٥٧ مطبعة السعادة بالقاهرة
 - (٤) راجع دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني ص ٩٨ مادة إسحاق ،
 - (٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق
 - (٦) المرجع السابق ص ٢٠

يقول كوير يرنج إنه كان زعيم طائفة من عبدة النجوم ازدهرت في حران (١) ، وقد عمل في مبدأ أمره صرافا بسوق حران ، ثم انتقل إلى بغداد ، لخلاف بينه وبين أبناء دينه (٢) فأدخل رئاسة الصابئة إلى أرض العراق ، فثبت أحوالهم ، وعلت مراقبهم وبرعوا ، وقد قدمه محمد بن موسى إلى المعتضد فاتخذ صديقا له ، وادخله في جملة المنجمين (٣) .

وقد اشتغل ثابت بعلوم الأوائل فهر فيها ، وأعاته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هي الإغريقية والسريانية والعربية . وغلب عليه الاتجاه الفلسفي والرياضي ، ولعل ذلك يرجع إلى ما اشتهر به الصابئة عامة في هذه العلوم .

يقول عنه صاعد الأندلسي إنه فيلسوف متوسع في العلوم ، متفنن في ضرور الحكم ، متقلد لجوامع الفلسفة ، له تأليف حسنة في المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك (٤) .

(١) أثر الإسلام الثقافي في المسيحية ص ٢٥٢ مقال نشر في كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٧٣
— النظر الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦

— اقرن ذلك بقول القنطلي واصطعبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلاد الروم لأنه رآه فصيحا ، أخبار الحكماء ص ٨١ مطبعة السعادة بالقاهرة

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٥

(٤) طبقات الأمم ص ١ مط. محمد مطر

وقد بلغت تأليفه مقدار عشرين (١) تأليفا ، ومن الكتب التي ألفها بالسريانية كتابه ، في السكون بين حركتي الشريان (٢) ، وقد نقله إلى العربية عيسى بن أسيد ، وأصلح ثابت العربي .

كذلك يذكر ابن العبري أنه ألف ، بالسريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم (٣) ،

== — أنظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٣٥ المطبعة الوهبية

— يذكر البيهقي أنه ، كان حكما كاملا في أجزاء الحكمة ، تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٠ مطبعة القزى بدمشق

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٥ ط . بولاق ١٢٩٩ هـ

— يرى أوليري أنه ألف بالعربية حوالي ١٥٠ بحثا في المنطق والرياضيات والفلك والطب ، وكتب بالسريانية خمسة عشر بحثا آخر . مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٦٠

(٢) جاء في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ١٣٨ ، أنه صنف هذا الكتاب سريانيا لأنه أوما فيه إلى الرد على الكندي ، ونقله إلى العربي قليد له يعرف بعيسى بن أسيد النصراني ، وأصلح ثابت العربي ، وذكر قوم أن الناقل لهذا الكتاب حبيش بن الحسن الأعمى وذلك غلط ،

— انظر في ذلك أيضا القفطي : أخبار الحكماء ص ١٨ مطبعة السعادة

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٥٠

— راجع قول القفطي ، وله بالسريانية ما يتعلق بمذهبه ، رسالة في

ويعد البيهقي من تصانيفه كتاب الذخيرة (١) وهو كتاب نادر في الطب وهو عربي جيد . ويستدل بما أورده القفطي (٢) من كتب ثابت أنه كان على قدر كبير من النشاط إذ أنه لم يتك ناحية من نواحي معارف عصره إلا وألف فيها كتابا ، أو أصلح فيها ترجمة ، أو نقل فيها شيئا رأه جديرا بالنقل .

ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن ثابت بن قرة قد أصاح عددا كبيرا من مترجمات اسحق بن حنين الفلسفية والرياضية ، ويوجد حتى اليوم عدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحا لها (٣) .

ومن الترجمات التي أصلحها ، والنسخة التي إقلمها إسحق بن حنين من المحطى لبطليموس إلى العربي ، ثم إنه نقل هذا الكتاب نقلا جيدا ،

== الرسوم والفروض والسنن ، رسالة في تكفين الموتي ودفنهم ،
رسالة في اعتقاد الصابئين ،
- أخبار الحكماء ص ٨٤ مطبعة السعادة

- (١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢١ مطبعة الترقى بدمشق
- يقول القفطي ، سألت أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة
عن هذا الكناش ، فقال ليس ذلك لثابت ، ولا وجدته في كتبه ، ولادساتيره ،
أخبار الحكماء ص ٨٤ مطبعة السعادة
- (٢) انظر ثبوتا مفصلا لكتب ثابت بن قرة عند القفطي : أخبار الحكماء
من ص ٨١ إلى ٨٤ مطبعة السعادة
- (٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٩

وأصلحه وأوضحه (١) ، كما أنه اختصر جزءا كبيرا منه ، كذلك أخذ كتاب (٢) اقليدس الذي عربه حنين بن إسحاق أيضا فهدبه وفتحه ، وأوضح ما كان مستعجبا منه . وقد كان لثابت كثير من التلاميذ ، وكان أحدهم مسيحيا ، ويدعى عيسى بن أسيد ، وقد ترجم عيسى (٣) إلى العربية مؤلفات ثابت التي وضعها بالسريانية ، وكان يتولى النقل بحضوره .

حبيش بن الحسن الدمشقي :

وهو ابن أخت حنين بن إسحاق ، وأحد تلاميذه ، ومنه تعلم صناعة الطب . يقول البيهقي ، وحبيش كان من الأطباء المتقدمين والمهندسين ، وله تصانيف كثيرة في الطب ، وكان مصيبا في المعالجات (٤) .

وقد استطاع حبيش ، بفضل حذب حنين عليه أن يصبح أحد مشاهير المترجمين (٥) ، فاشتغل بالنقل من اليوناني والسرياني إلى العربي ، وكان يسلك مسلك حنين في نقله إلا أنه كان يقصر عنه (٦) ، وبالرغم

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٨٣ مطبعة السعادة

(٢) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ص ١٣٥ وانظر ص ٢٠٩ من

نفس المرجع مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ

— انظر دائرة معارف البستاني المجلد السابع ص ٢٥٣ مادة حنين ،

(٣) انظر ترجمة عيسى بن أسيد القفطي : أخبار الحكماء ص ١٦٤

— ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ مطبعة الاستقامة

(٤) تاريخ حكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٢ م

(٥) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٧

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٣٠ ص ٢٠٢

من ذلك فقد كان حنين ، يقدمه (١) ويمظمه ويرضى نقله ، وقد نسب أكثر ما نقله حبش إلى حنين . يقول القفطى د كثيرا ما يرى الجهال شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم ، ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكسطة ، ويجعله لحنين (٢) .

ويرى ما يرهوف أن هذا الخلط مرده إلى د تشابه اسم حنين وحبش في الكتابة الخطية أيام أن كانت الحروف لا تنقط ، فكانا يرسمان هكذا د حسس ، و د حسس ، (٣) .

ويقول دى بور د نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا فإن كتبنا كثيرة تنسب لواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى ، ولا بد أن كثيرا من الكتب كان يترجمه تلاميذهم ومساعدوهم بإرشاد منهم (٤) .

متى بن يولس «كان ببغداد فى خلافة الراضى بعد سنة عشرين وستائة هـ ، كان (٥) حكيما نصرانيا من أهل دير قوقى عن لعمرا فى أسكول مرمارى ، شرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ،

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٨ مطبعة الاستقامة

— ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٣٣ مطبعة السعادة

— راجع ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٣

(٣) ماكس مايرهوف : كتاب العشر مقالات فى المين المقدمة ص ٢٣

(٤) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٣٠

(٥) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٨ مطبعة الترقى بدمشق

وإليه (١) انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وكان يطنب في الكلام بقصد التعليم والتفهم . ولعل من أهم الكتب التي ترجمها كتاب سوفسطيقا (٢) لأرسطو ، ومعناه الحكمة الموهبة ، وقد نقله إلى السرياني . كما ترجم أيضا كتاب الشعر لأرسطو ، يذكر ذلك ابن النديم في حديثه عن كتب أرسطو فيقول : الكلام على أبوطيقا ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر من بن يونس من السرياني إلى العربي ، (٣) .

وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي هذه الترجمة كاملة في كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهو يرى أنها ترجمة (٤) رديئة .

سنان بن ثابت بن قرة : (توفي سنة ٨٢٣)

كان (٥) عالما بالعدد والهندسة ، وكان طبيبا مقدما كآبيه ، وقد وكل إليه المقتدر امتحان أطباء بغداد سنة ٨٣٩ هـ . وقد نقل إلى العربي نواميس هرمس والسور والصلوات التي يصل بها الصابئون (٦) .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٢ مطبعة الاستقامة

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٨ مطبعة السعادة

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٣ مطبعة الاستقامة

(٤) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي ، يغلب على ظننا أن ابن سينا في تلخيصه وعرضه لكتاب الشعر في الشفاء ، إنما استعان بترجمة يحيى بن عدي على افتراض أنها كانت أصح لأنه لم يكن في وسعه الاعتماد على ترجمة أبي بشر متى بصورتها التي وصلت إلينا .

فن الشعر لأرسطوطاليس : التصدير ص ٥٠ مطبعة مصر

(٥) صاعد الأندلسي : طبقات الأئمة ص ٤١ ط . محمد مطر

(٦) القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٢ مطبعة السعادة

أصلح كثيرا من الترجمات التي كانت تترجم من السرياني إلى العربي (١) .
من ذلك إصلاحه كتاب أفلاطون في الأصول الهندسية ، وقد زاد في
هذا الكتاب شيئا كثيرا (٢) . وقد توفي سنان بن ثابت مسلما
ببغداد (٣) .

يحيى بن عدى : (توفي سنة ٨٢٦٤)

كان نصرانيا يعقوب النحلة ، قرأ على أبي بشر متى بن يونس وعلى
أبي نصر الفارابي ، وقد انتهت إليه رئاسة أهل المنطق في زمانه ، وكان
يفسخ بيده (١) ، فسكتب كثيرا من الكتب ، وله تصانيف وتفاسير
ونقول كثيرة ، من ذلك كتاب طويقا ، لأرسطاطاليس . يقول ابن
النديم في معرض الحديث عن كتب أرسطو والكلام على طويقا ،
والجدل ، نقل إسحق هذا الكتاب إلى السرياني ، ونقل يحيى بن عدى
الذي نقله إسحق إلى العربي . كما نقل كتاب أبوطيقا ، وقد ذكره
ابن النديم أيضا في قوله والكلام على أبوطيقا ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر متى
من السرياني إلى العربي ، ونقله يحيى بن عدى (٢) وقد بقيت لنا ترجمة أبي بشر
متى ، ونظر الرداءتها فإن الدكتور عبد الرحمن بدوي يظن أن الخبر عن يحيى
بن عدى وأنه نقله خبر صحيح (٣) كما نقل كتاب سوفسطيكا لأرسطو
إلى العربي أيضا .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الألباء في طبقات الأطباء ١٣ ص ٢٢٤

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٢

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٤

(٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٩٧

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٢

(٦) من تصدير فن الشعر لأرسطو ص ٥٠ مطبعة ماسن

أبو علي عيسى بن زرعة :

« ولد سنة ٣٣١ هـ وتوفي سنة ٣٩٨ هـ (١) »

كان نصرانياً يعقوبياً ، اشتغل بالمنطق في بغداد ، وكان متقدماً فيه ، كما برع في الفلسفة . ذكره ابن النديم فقال إنه « كان ينقل من السرياني إلى العربي ، وأكثر ما نقله يدخل في دائرة الفلسفيات (٢) » . وكان جيد النقل ، وما نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس . والقفطي يشير إلى ذلك بقوله « ونقله (كتاب الحيوان) أبو علي بن زرعة إلى العربي وصححه ، وملكته منه نسخة (٣) » .

(١) راجع ابن العبري: مختصر تاريخ الدول ص ٣١٥

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٣ مطبعة الاستقامة

(٣) القفطي أخبار الحكماء ص ٣١ مطبعة السعادة

— راجع بقية تصانيفه في نفس المرجع ص ١٦٤

الفصل الثالث

طرق المترجمين في النقل وأساليبهم

في وسعنا بعد هذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من حركة الترجمة أن نقين أن النقل كان يحدث إما من اليونانية إلى العربية مباشرة ، وإما من اليونانية إلى السريانية ، ومنها إلى العربية (١) . وما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تصدر في الوقت الذي كانت تبدأ فيه الترجمات العربية ، وقد دامت الترجمة إلى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور (٢) . أي أن عمل الترجمة كان من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات في العربية وفي السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغني عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس .

ويذهب ماكس مايرهوف إلى أن حركة الترجمة في النصف الأول من القرن الثالث و التاسع الميلادي ، كانت غالبا إلى السريانية ، وفي النصف الثاني ازدادت حركة الترجمة إلى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا بإصلاح التراجم القديمة (٣) .

(١) راجع الدكتور أحمد عيسى : التمهيد في أصول التعريب ص ٧٣

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ٢٤١

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٨٠

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا . يقول دي بور ، والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعا يكونون من السريان (١) .

ويقول ماكس مايرهوف ، وكان هؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية (٢) .

ويقول فيليب حتى ، كان معظم المترجمين من يتكلمون الآرامية (٣) . وهكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الإغريقية والعلوم الإغريقية والإسلام . وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تمر عقولهم ، وتم بأقلامهم قبل أن تصل إلى العقل العربى . وقد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل ، ولكن الرجوع إلى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق فى هذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهو أن الدقة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غاية من الأهمية (٤) .

وكان د للترجمة فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٨

— انظر جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٢

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٧

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٢٨٦ ط ١٩٥٢

(٤) أوليفر : علوم اليونان وسهل نقلها إلى العرب ص ٢٢٠

الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجوهين أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . الثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما . وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن إسحق والجوهري (١) وغيرهما ، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويميز عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها ، وهذه الطريق أجود (٢) .

ولكن يبدو أن الأمر لم يكن على هذا النحو المتطرف الذي صوره الصفدي فالالتجاء إلى الترجمة الحرفية لم يكن مذهبا عاما .

يقول فيليب حقي ، لما كانت تعترض المترجمين قطع صعبة في الأصل ، فإنهم كانوا يعمدون إلى الترجمة الحرفية ، فإذا لم يجدوا مرادفا عربيا ، كانوا يعمدون إلى نقل اللفظ اليوناني بحروفه مع إدخال شئ من التحوير (٣) ، ومن ثم نجد كلمات مثل (٤) قاطيغورياس أي المقولات ،

(١) توفى حوالي سنة ٨٢٣ م أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية

إلى العرب ص ٢٣٨

(٢) صلاح الدين الصفدي : الغيث المسجم في شرح لامية العجم ج ١ ص ٤٦

— انظر الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في أصول التعريب ص ١١٣

(٣) فيليب حقي : تاريخ العرب ج ٢ ص ٢٨٦

(٤) راجع ابن النديم : الفهرست ص ٢٦١

بارى إرمانياس أى العبارة ، أنالوطيقا أى تحليل القياس ، ريطوريقا أى الخطابة ، أبوطيقا أى الشعر ، أرمطاطيقى أى الحساب (١) . وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى المصطلحات الفنية التى يصطنعها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هى بحروف عربية ، ولكن هذه المصطلحات قتل فى أحيان كثيرة على أنها مرت فى وسط آراى « سريانى » فى طريقها إلى العرب ، وهذه الظاهرة أكثر وضوحا فى الكتب اللطيفية منها فى الكتب الرياضية والفلكية (٢) .

كذلك لم تكن طريقة حنين فى التعريب على هذا النحو الذى صوره الصفدى . يقول برجستراسر ، إن حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه تجشما عناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما استطاع من الوضوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بهمال اللغة وتفسيق ديباجتها ، لكن تراجم حنين أفضل ، ودقتها أعظم ، ومع ذلك فإن الإنسان يخيل إليه أنها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمسك وثيق من اللغة ، وحسن تصرف فى مذاهبها ، ويتجلى هذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية ، والدقة المتناهية فى التعبير مع الإيجاز ، تلك هى ميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها (٣) .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٠

(٢) أولبرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ص ٢٢٠

(٣) ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين المقدمة ص ٣٠

ولقد بذل السريان أقصى جهدهم في الإحاطة بالتراث اليوناني ،
وكانوا يحبون الأقطار سعيًا وراء استكمال الكتب التي رقت
تحت أيديهم .

يقول حنين بن إسحق عن كتاب « في البرهان لجالينوس » الذي
كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري ، إنني بحثت عنه بحثًا
دقيقًا ، وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر
إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنني لم أحظ إلا بما يقرب من نصفه
في دمشق (١) .

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن فهم السريان للثقافة اليونانية صحيحًا
كله ، كذلك لم يحل إقناع للنقطة لليونانية والسريانية والعربية من ظهور
بعض ما أخذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينا أنه إلى جانب أولئك
المترجمين الذين أشرنا إليهم كان هناك فئات أخرى من ليست لديهم
درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمة الصحيحة المؤدية لمقتضى
الأصل ومرامييه .

يقول القفطي وهو يتحدث عن كتاب « الكون والفساد » لأرسطو
« وقال أهل العلم بالسرياني أنه بالسرياني فوق العربي في الجودة ، ولا شك
في أن ناقله إلى العربي قصر في الترجمة » . (٢)

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ٢٩

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٣٠

— يقول ابن النديم « وليحيي النهوي في الكون والفساد شرح تام ، والعربي
دون السرياني في الجودة » الفهرست ص ٣٦٥ :

وعندما تقدمت حركة الترجمة أحسن المترجمون بما كانوا قد وقعوا فيه من أخطاء ، فأخذوا يعيدون النظر فيما نقل ، ويتناولونه بالترجمة من جديد ، أو يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

يقول أوليري : « وقد أدى الحرص على معلومات عالية دقيقة إلى وضع ترجمات أكثر دقة أو إلى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا » (١) .

ولعل ذلك يتضح في قول حنين بن إسحق في رسالة له إلى علي بن يحيى عن كتاب في الفرق لجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الأربعين من عمري طلب إلى تليزى حبش أن أصلحها بعد إذ كنت قد جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية ، وعند ذلك رقت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة قارنتها بالنص السرياني ثم صححتها ، وتلك عادت التي اتبعنا في كل ما ترجمت » (٢) .

كذلك يقول إسحق « نقلت هذا الكتاب وكتاب النفس لأرسطو ، إلى العرب من نسخة رديئة ، فلما كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخة في نهاية الجودة ، فقابلت بها النقل الأول وهو شرح ثامسطيوس » (٣) .

وبديهي أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده إلى تفاوتهم في

(١) أوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ص ٢٢٠

(٢) العشر مقالات في العين - المقدمة ص ٢٩

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٦

- القفطي : أخبار الحكماء ص ٣١ ، ٣٠

المعرفة باللغات المترجم منها وإليها ، وإلى تمكنهم من المادة العلمية التي تعالجها موضوعات الكتب التي يتجهون إليها .

يقول ابن أبي أصيبعة « وجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية إلى السريانية سرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية إلى العربية موسى بن خالد القرطبي ، فلما طابقتها وتأمّلت ألفاظها ، تبين لي بين نقلها وبين الست عشرة التي هي نقل حنين تباين كثير ، وتفاوت بيني ، وأين الألفاظ من البليغ والثري من الثريا (١) ، ١٤٠ » .

ولقد ترتب على تبادل الكتاب الواحد في أيدي أكثر من مترجم أن ثارت الريبة حول الكتب المنقولة ، ولم يعد الناس يرتاحون لها ويطمئنون إليها . يقول الجاحظ « ولا يزال الكتاب تداوله الأيدي الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرعا ، وكذبا مصمما ، فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتعاوره الخطاط بشر من ذلك أو بمثله (٢) » .

ويقول برجستراسر « إن لغة كتاب العشر مقالات في العين تشيع فيها بعض خواص امتاز بها أسلوب حنين وحيث ، ولكنه مكتوب بأسلوب عربي - وبربري أحينا - رديء بحيث لا يرجح انحطاطه وسوقيته إلى حيث الناسخين فحسب ، كذلك يظن أن الكتاب في صورته التي هو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجح أن حنيشا

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٣ ص ١٨٩

(٢) الجاحظ - الحيوان ١٣ ص ٧٩

وسواه من تلاميذ حنين غيرهه فأخرجوه عن أصله ، (٢) .

ولا غرابة في أن يشك الجاحظ فيما تضمنته الكتب المترجمة ، ويشور القلق في نفسه ، فلا يدهه يصدق ما يقوم المترجمون بنقله . ودافعه إلى ذلك أن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهما حقوقها ، ويؤدي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم (٣) .

وهكذا وجد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره في المترجمين ، فهم في رأيه عاجزون عن التعبير عن المعاني الأصلية ، ولذا فهو يسلكهم فيمن لا يسلم بقولهم ، ولا يأخذ بكلامهم ، فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين ، وأحاديث السماكين ، وإلى ما في كتاب رجل لعله أن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه لسوء ترجمته (٤) .

ولم يسكن هناك بد وقد عاب الجاحظ على الترجمة عجزهم عن نقل المعاني بدقة في ترجماتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على الكتب القديمة من تحريف من أن يبين لهم الخصائص التي يراها لازمة لمن يأخذ نفسه بهذا العمل ، وقد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة (٥)

(١) العشر مقالات في العين المقدمة ص ٦٣

(٢) الجاحظ : الحيوان ١٣ ص ٧٥ ، ٧٦

(٣) الجاحظ : الحيوان ٦٣ ص ١٩

(٤) انظر الدكتور طه الحاجري : تخريج لصوص أرسططاليس في كتاب

الحيوان . بحث في مجلة كلية الآداب المجلد السادس سنة ١٩٥٢ ص ١٧

« تكتلخص في معرفة دقيقة أصيلة محيطية بالموضوع ، وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول إليها ، وهو يقول إن من الواجب على من يعمل بالترجمة « أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه (١) » . وهو يذكر أنه « لا بد للترجمان من أن يكون بياضه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية ، ومتق وجدهناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليها ، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطئه فيه ، ولن تجد البتة مترجما يفنى بواحد من هؤلاء العلماء (٢) » .

ولقد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين ، وأصبحت طبيعة في أيديهم ، وكانت ألفاظها الكثيرة من الوسائل التي أعانت على أداء المعاني وإبرازها بكل دقة .

يقول ابن سنان الخفاجي « كانت اللغة العربية مع السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني ، وفي النقل إليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل إلى لغة العرب إلا ويحصى الثاني أقصر من الأول ، مع سلامة المعاني ، وبقيتها على حالها ، وهذه بلا شك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لأن الغرض في الكلام ووضع اللغات بيان المعارف وكشفها ... وقد أخبرني أبو داود المطران - وهو عارف باللغتين :

(١) الجاحظ : الحيوان ١٣ ص ٧٦

(٢) المرجع السابق ١٣ ص ٧٦

العربية والسريانية - أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني
قبحت وخسرت ، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد
طلاوة وحسنا ، وهذا الذي ذكره صحيح (١) .

ويرى دى بور أنه « ينبغي ألا نعد هؤلاء النقلة من جملة الفلاسفة
ذوى الشأن ، إذ كان ينسدر أن يقبل أحدهم على الترجمة من تلقاء
نفسه ، بل كان في كل الأحوال تقريبا يعمل طاعة لخليفة أو وزير
أو رجل عظيم (٢) » .

(١) ابن سنان الحفاجي : سر الفصاحة ص ٤٨
(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣١

الخاتمة

قام هذا البحث ليكشف عن ، نصيب السريان في الحضارة الإسلامية ،
١ - وقد استوجب ذلك أن ندرس في الفصل الأول من الباب
الأول أوليات الحضارة في المنطقة التي تسمى الآن بالهلال الخصيب
باعتبارها البيئة التي استقر فيها الآراميون بعد هجرتهم من الجزيرة
العربية ، وقد كشفت هذه الدراسة عن أن الآراميين قد تلقوا تأثيرات
حضارية عديدة مكنهم منها موقع بلادهم ، كما أن اللغة الآرامية قد
ظلت سائدة في آسيا حتى مطلع القرن السابع الميلاد تقريبا ، ولم يؤثر
عليها زوال نفوذهم السياسي ، ولقد اندثرت الحضارة الآرامية ، ولم يصل
لنا إلا القليل من معارفهم لعدم مسيرتها للمقيدة المسيحية .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب خرجت من دراستي للسريان بأن
لفظة سريان لا تتخذ للدلالة على الجنسية بل على الديانة ، وأنها مرادفة
لفظة المسيحي والنصراني .

٢ - وفي الباب الثاني تحدثت عن المراكز الثقافية في الشرق القديم ،
وكان أهمها الإسكندرية ، وحران ، وجنديسابور ، والرها ، ونصيبين ،
وكانت النتائج التي توصلت إليها تتلخص فيما يلي .

(١) بدأ اتصال المسلمين بمدرسة الإسكندرية منذ زمن الفتح ، وقد
ساعد اهتمام الخلفاء الأمويين بالعلوم المسيحية على تشجيع هذه الصلة ،
ومن هناك قدم إسطفانوس وماريانوس ، وترجموا كتب الكيمياء لخالد
ابن يزيد ، كذلك قام ماسرجويه بتقجمة بعض الكتب الطبية في عهد
عمر بن عبد العزيز ، ولما جاء العصر العباسي كان نفوذ مدرسة
الإسكندرية قد أصابه الضعف .

(ب) ظهر أثر مدرسه حران في الرياضيات ، وقد تميز الحرايسون بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذلك جاءت ترجمتهم دقيقة .

(ج) اتصل العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام : ومن درسوا فيها الحارث بن كلدة ، وقد عمل هذا الاتصال على تعريف العرب بالحضارة الفارسية . ورغم سقوط دولة الفرس فقد ظلت المدرسة تقوم بنشاطها ، غير أن العناية لم تنجح إليها إلا في العصر العباسي حين قدم كثير من أطبائها لعلاج الخلفاء ، وبذلك أتيح لهم أن يظهروا مهارتهم ، فقلوا كثيرا من الكتب إلى العربية .

(د) يبدو أن تأثير مدرستي الرها ونصيبين كان ضعيفا في العرب لأن الدراسة بها كانت لاهوتية محضة ، كما كانت موجهة بحيث توافي حاجات الكنيسة .

٣ - وفي الباب الثالث بينت جهود المريان في الحضارة العربية قبل الإسلام ، وعينت البيئات التي بدت فيها هذه الجهود ، وما أثمرته فيها . وقد توصلت إلى النتائج الآتية :

(أ) كانت الآرامية هي لغة الكتابة في دولة الأنباط وفي دولة تدمر ، ومن آرامية الأنباط أخذ عرب الشمال أبجديتهم .

(ب) كان اليعاقبة هم الذين نقلوا الثقافة اليونانية إلى الفساستة .

(ج) تلقى عرب الحيرة قدرا كبيرا من العلم والفلسفة واللاهوت المسيحي عبر اللغة السريانية التي كانت سائدة هناك .

(د) كان تسجيل تاريخ الأديرة في الحيرة من العوامل التي أعانت اللغة العربية لكي تصبح لغة خالصة وتصلح للاستعمال في الكتابة .

(هـ) انتقل التأثير النسطوري من الحيرة ونفذ إلى العرب كلهم ،

وكانت له مظاهره في نجران .

(و) ظهور القلق الديني ، ووجود نزعات دينية عند بعض الشعراء في العصر الجاهلي مظهر من مظاهر التأثير بالسريان .

٤ - وقد أوضحت في الباب الرابع النشاط الذي قام به السريان في ظل الأمويين ، فبينت أن الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الإسلامية كانت تتلخص فيما يلي :

(أ) ظهور مشكلات جديدة لم يكن لدى المسلمين بها خبرة من قبل أدى بهم إلى الاستعانة بأهل الثقافات الأجنبية ، وكان معظم هؤلاء سرياناً .
(ب) مساواة الإسلام بين معتقيه استشارت غير العرب فشاركوا في كل نشاط دار حولهم .

(ج) انتقال الخلافة إلى دمشق أتاح للسريان فرصة واسعة ليضاعفوا من جهودهم في بناء الدولة الإسلامية ، ذلك أن دمشق كانت مركزاً للأساقفة المسيحيين ، ولقد كان من نتائج هذا الانتقال أن استعمل الأمويون عمالاً كثيرين من اليونان والسريان ، وأسندوا إلى المسيحيين مركز الوزير الأول .

(د) ظلت الحياة العقلية في البلاد التي فتحها الإسلام تسير وتنبية ، فظل النشاط الثقافي على ما هو عليه بما ساعد على التحام الثقافات الأجنبية بالفكر العربي .

ولقد اقتضى سير البحث أن أعرض للبصرة والكوفة كركزيين من مراكز الثقافة عنيا بالنشاط العقلي في العصر الأموي ، وقد كشفت الدراسة عما يلي :

(أ) على الرغم من أن البصرة والكوفة كانتا في بداية الأمر ثكنات لجند المسلمين إلا أن أهل العلم والمعرفة سرعان ما قاطروا عليها مما أدى

إلى قيام حركة فكرية فيها لاشك أنها تأثرت بالثقافة السريانية التي وفدت من جنديسابور والحيرة .

(ب) قامت الدراسات اللغوية في كل من البصرة والكوفة لتذيب الفارق الذي بدأ يزداد بين لغة القرآن الكريم ولغة الكلام اليومية .
(ج) دفعت الرغبة في فهم القرآن كثيرا من الموالى لدراسة العربية لاسيما وأنهم وجدوا أن تفوقهم في مثل هذه الدراسة يقربهم إلى الخلفاء ، ويؤهلهم لتول المراكز العالية في الدولة .

(د) لما خالط العرب الأعاجم تسرب اللحن إلى ألسنتهم ، فاستوجب ذلك الاهتمام بالعلوم العربية حفظا للغة العربية من التغير ، ورغبة في استجلاء معاني القرآن الكريم ، وخدمة للنص القرآني حتى لا يزل أحد في فهمه .

(هـ) النحو العربي متأثر بالنحو السرياني في كثير من أطواره ، كما أن النحاة العرب تأثروا بالسريان في كتبهم ، حيث ظهر أنهم يسلكون فيها مسلكا فلسفيا .

وفي الفصل الثاني من الباب الرابع تحدثت عن حركة النقل في العصر الأموي وبينت جهود السريان فيها ، وكانت النتائج التي انتهى إليها البحث في هذا الفصل هي :

(أ) على الرغم من أن دراسة الفلسفة كانت ميسرة في العصر الأموي إلا أن المسلمين كانوا يبخشون الخوض فيها حفاظا على عقيدتهم ، ومع ذلك فإنه وجد من بينهم من تثقف بها مثل النضر بن الحارث بن كنده .
(ب) أول نقل علمي في الإسلام كان بإرشاد خالد بن يزيد الذي أولع بدراسة الكيمياء ، وأشار بترجمة الكتب فيها .

(ج) اشتغال السريان بترجمة الكتب اليونانية إلى لغتهم قبل الإسلام
أعانهم على أن يواصلوا عملهم في العصر الإسلامي ، وكانوا بذلك واسطة
لاقتباس العرب علوم اليونان .

(د) من النقلة في العهد الأموي يحيى النحوي ، وقد تأثر الغزالي
بكتبه ، وماسرجويه الذي نقل كتاب أهرن القس في أيام عمر بن
عبد العزيز .

وفي الفصل الثالث من الباب الرابع بينت موقف العقليّة العربيّة من
الثقافات الدخيلة ، وتوصلت إلى النتائج الآتية .

(أ) تقبلت العقليّة العربيّة الثقافات الاجنبية ، وأعاتها على ذلك رغبتها
الدافقة في التعرف على كل جديد ، وما كان لديها من إمكانيات فطرية
مكنتها من سرعه الفهم ، ومع ذلك ظلت العلوم الإسلامية هي التي
تظفر باهتمام المسلمين طوال العصر الأموي تقريبا .

(ب) على الرغم من عدم دراسة الفلسفة في العصر الأموي إلا أن
احتكاك المسلمين بالمسحيين نقل إليهم كثيرا من الأفكار الفلسفية .

(ج) تأثرت الفرق الإسلامية بالعوامل المسيحية في مذاهبها .

هـ - الباب الخامس حركة النقل في العصر العباسي . وقد قسمته إلى

ثلاثة فصول .

الفصل الأول : درست فيه أسباب الترجمة ، وقد خرجت منه إلى

أن الترجمة في العصر العباسي قامت استجابة للدوافع الآتية :

(أ) احتياج حياة الحضارة إلى الأطباء والأدوية لفت الأنظار إلى

جنديسابور ، وكانت تزخر بالأطباء ، فاستقدمهم الخلفاء وبذلك أتيت

لهم الفرصة لينقلوا علومهم إلى اللغة العربية لاسيا وأن الخلفاء قد رفعوا

قدرهم وأجزلوا لهم العطاء .

(ب) كانت الرغبة في الاستمالة بوسائل الجدل والمنافسة هي التي أدت إلى ترجمة الفلسفة لئتمكّن المسلمون من مقارعة خصومهم والدفاع عن دينهم . ومن هنا كان أول علم من علوم الفلسفة حصل له اشواك بعلم الكلام الإسلامي هو علم المنطق .

(ج) لم يترجم المسلمون الأدب اليوناني لعدم حاجتهم إليه .

(د) انتشار الإسلام ودخول غير العرب فيه دفع هؤلاء إلى نقل علومهم إلى اللغة العربية .

(هـ) اهتمام الخلفاء بالعلوم دفع غيرهم من الناس إلى التشبه بهم فوجد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أمرياء المسلمين .
وفي الفصل الثاني من الباب الخامس درست ميادين الترجمة ، وذكرت العاملين فيها ، وأشارت إلى جهودهم ، وألمت بالكتب التي ترجمها أو أصلحها كل منهم .

وفي الفصل الثالث من الباب الخامس بينت طرق المترجمين في النقل وذكرت أساليبهم ، وانتهيت إلى ما يلي :

(أ) لم يكن لأحد من المترجمين طريقة خاصة يلتزمها ، وإنما كان مذهبه يتأثر بطبيعة الموضوع الذي يترجمه .

(ب) كان بعض المترجمين لا يحسنون فهم الموضوع الذي ينقلونه ، فجاءت ترجمتهم قاصرة بما أدى إلى إعادة ترجمة بعض الكتب أو تقييحها .

(ج) بما يحمد لغة العربية أنها استجابت بسرعة لمطالب العصر ، وأصبحت طبيعة في أيدي المترجمين بما أعانهم على تأدية المعاني الجديدة التي استحدثتها هذا النشاط العلمي .

المراجع

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة - حمودة غرابة - دار الطباعة والنشر الإسلامية

(٢) ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية - ترجمة محمد عبد الله عنان . رسالة نشرت مع فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

(٣) أثر الإسلام الثقافي على المسيحية - مقال في كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله .

(٤) أدب المعتزلة - دكتور عبد الحكيم بلبع - مكتبة نهضة مصر .

(٥) الآثار الباقية في القرون الخالية - أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني - طبع لبيزج سنة ١٩٢٢ م .

(٦) الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينوري - طبع ليدن سنة ١٨٨٨ م .

(٧) الأسر العربية المشتهرة بالطب - عيسى اسكندر المصاوي - المطبعة الأدبية سنة ١٩٣٥ م .

(٨) الإسلام : ظهوره وانتشاره في العالم - حامد عبد القادر - مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م .

(٩) الأصنام - أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي - طبع دار الكتب سنة ١٩٢٤ م .

(١٠) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - طبع ساسي ودار الكتب .

(١١) الأفلاطونية المحدثة عند العرب - الدكتور عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة سنة ١٩٥٥ م .

- (١٢) الإبراهيميون القدماء - دكتور عبد المنعم محمد حسين فصل من كتاب حضارة مصر والشرق القديم .
- (١٣) البيان والتبيين - أبو هشام عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- (١٤) التاريخ الإسلامى - الدكتور أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية .
- (١٥) التاريخ الكبير - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين المعروف بابن عساكر - مطبعة روضة الشام .
- (١٦) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٦ م .
- (١٧) التنبية والاشراف - أبو الحسن علي بن الحسين المسعودى - طبع الصاوى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م .
- (١٨) التهذيب فى أصول التعريب - الدكتور أحمد عيسى - الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م مطبعة مصر .
- (١٩) الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم - الدكتور إبراهيم أحمد العدوى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ م مكتبة الانجلو المصرية .
- (٢٠) الديارات - أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي - مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٩٥١ م .
- (٢١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء - جمال الدين أبو الحسن علي بن الفاضل الأشرف يوسف القفطى - مطبعة السعادة سنة ١٣٣٦ هـ .
- (٢٢) الانتصار - أبو الحسن الخياط - طبع القاهرة سنة ١٩٣٥ م .

- (٢٣) الحضارة الإسلامية - تأليف خودا بخش - ترجمة الدكتور علي حسني
الخربوطلي - طبع عيسى الباني الحلبي وشركاه .
- (٢٤) الحياة العربية من الشعر الجاهلي - الدكتور أحمد محمد الحوفي -
مطبعة نهضة مصر .
- (٢٥) الحياة الفكرية والأدبية بمصر - الدكتور محمد كامل حسين - مطبعة
مصر سنة ١٩٥٩ م .
- (٢٦) الحيسوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد
السلام هارون - مكتبة مصطفى الباني الحلبي .
- (٢٧) الساميون القدماء - الدكتور حسن أحمد محمود - فصل في كتاب
حضارة مصر والشرق القديم .
- (٢٨) السيرة النبوية - أبو محمد عبد الملك بن هشام - مطبعة مصطفى
الباني الحلبي سنة ١٩٣٦ م .
- (٢٩) السيرة الخلية - علي بن برهان الدين الحلبي - طبع سنة ١٢٩٢ هـ .
- (٣٠) أصل الخط العربي - خليل يحيى ناصي .
- (٣١) الشهامة - أبو القاسم الفردوسي - تعليق الدكتور عبد الوهاب
عزام - طبع دار الكتب ١٩٢٢ م .
- (٣٢) العالم العربي - نجلاء عز الدين - ترجمة محمد عوض إبراهيم - دار
إحياء الكتب العربية .
- (٣٣) العراق وما توالى عليه من حضارات - الدكتور حسن عون -
مطبعة رويال .

- (٣٤) العرب قبل الإسلام - جرجى زيدان - طبع دار الهلال - مراجعة الدكتور حسين مؤنس .
- (٣٥) العشر مقالات في العين - حنين بن إسحق - مقدمة ماكس مايرهوف - المطبعة الأميرية القاهرة سنة ١٩٢٨ م .
- (٣٦) العقد الفريد - أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- (٣٧) العلوم عند العرب - قدرى حافظ طوقان - مكتبة مصر .
- (٣٨) الفلسفة اللغوية - جرجى زيدان .
- (٣٩) الفلسفة في الشرق - بول ماسون أورسيل - ترجمه محمد يوسف موسى - طبع دار المعارف بمصر .
- (٤٠) الفن ومذاهبه في النثر العربي - الدكتور شوقي ضيف - طبع دار الغد، ونشر مكتبة الاندلس سنة ١٩٥٦ م .
- (٤١) الفهرست - ابن النديم - مطبعة الاستقامة .
- (٤٢) القومية العربية - الدكتور حازم زكي نسيه - ترجمة عبد اللطيف شرارة - دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٩ م .
- (٤٣) الكامل في التاريخ - لابن الأثير الجوزى - طبع بولاق .
- (٤٤) اللغة الشبية في نحو اللغة السريانية - إقليمس يوسف داود - طبع الموصل في دين الآباء الدومنيكيين سنة ١٨٩٨ م .
- (٤٥) المسالك والممالك - ابن خردادبه - طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م .
- (٤٦) المعجزة العربية - ماكس فانتاجر - ترجمة رمضان لاوند - طبع دار الكشاف - بيروت سنة ١٩٥٤ م .

- (٤٧) الغيت المسجم في شرح لامية المعجم - صلاح الدين الصفدى -
المطبعة الأزهرية
- (٤٨) المفضليات - أبو الحسن المفضل بن محمد الضبي - شرح حسن
السندون سنة ١٩٢٦ م .
- (٤٩) الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - تحقيق
محمد بن فتح الله بدران - مطبعة الأزهر .
- (٥٠) انتصار الحضارة - جيمس هنرى برستد - ترجمه الدكتور أحمد غزوى .
- (٥١) إيران في عهد الساسانيين - تأليف كريستنس وترجمة الدكتور يحيى الخشاب
طبع القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
- (٥٢) بحوث ودراسات إسلامية - الأستاذ محمد خلف الله - طبع مكتبة
النهضة المصرية .
- (٥٣) بلاد ما بين النهرين - ل . ديلاپورت - ترجمة محمد كمال
المطبعة النموذجية .
- (٥٤) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور إبراهيم سلامة - طبع أحمد نجيم .
- (٥٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - السيد محمد شكرى الألوسى -
مطابع دار الكتاب العربى بمصر .
- (٥٦) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - مطبعة الهلال سنة ١٩١١ م
- (٥٧) تاريخ أبى الفدا - طبع القسطنطينية - سنة ١٢٨٦ هـ .
- (٥٨) تاريخ الأدب السريانى - الدكتور مراد كامل - طبعه المقتطف .
- (٥٩) تاريخ التمدن الإسلامى - جرجى زيدان - مطبعة الهلال سنة ١٩٣٥ م .

(٦٠) تاريخ التربية الإسلامية - الدكتور أحمد شلبي - دار الكشاف
بيروت سنة ١٩٥٨ م .

(٦١) تاريخ الحضارة الإسلامية - ف. بارثولك - ترجمة حمزة طاهر .

(٦٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة - جمال الدين القاسمي - طبع القاهرة ١٣٣١ هـ

(٦٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الدكتور فيليب حقي - ترجمة الدكتور
جورج حداد وعبد الكريم رافق - دار الثقافة بيروت سنة ١٩٥٨ م .

(٦٤) تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - ترجمة نبيه أمين
فارش ومنير البعلبكي - دار العلم للدلايين الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م

(٦٥) تاريخ الطب عند العرب - عيسى إسكندر معلوف - دمشق سنة ١٩٢٥ م

(٦٦) تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة - عيسى إسكندر المعلوف
دمشق سنة ١٩٢٥ م .

(٦٧) تاريخ العرب - فيليب حقي - ترجمه محمد مهروك نافع سنة ١٩٥٢ م .

(٦٨) تاريخ الفلسفة في الإسلام - ت. ج. دي بور - ترجمة محمد
عبد الهادي أبو ريده - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٦٩) تاريخ الفكر العربي - إسماعيل مظهر سنة ١٩٢٨ م .

(٧٠) تاريخ كلدو وآثور - أدى شير - طبع في المطبعة الكاثوليكية
للآباء اليسوعيين ج ١ سنة ١٩١٢ م و ج ٢ سنة ١٩١٢ م .

(٧١) تاريخ الآداب العربية - كارل فالينو - طبع دار المعارف بصر
سنة ١٩٥٤ م .

(٧٢) تاريخ الإسلام السياسي الدكتور حسن إبراهيم حسن - الطبعة الثالثة
مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م

- (٧٣) تاريخ العلم الجزء الأول جورج سارتون - ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٨ م .
- (٧٤) تاريخ اللغات السامية - اسرائيل ولفسون - مطبعة الاهناد سنة ١٩٢٩ م
- (٧٥) تاريخ اليعقوبى - احمد بن جعفر اليعقوبى - ط. سنة ١٨٨٣ .
- (٧٦) تاريخ حكماء الإسلام - ظهير الدين البيهقى - مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٤٦ م .
- (٧٧) تاريخ مختصر الدول - ابن العبرى - المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٠ م .
- (٧٨) تاريخ مصر فى عصر البطالة - الدكتور إبراهيم لصحى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ م .
- (٧٩) تخريج نصوص أرسططالية فى كتاب الحيوان - الدكتور طه الحاجرى بحث فى مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٥٢ م .
- (٨٠) تراث فارس - فصول كتبها طائفة من المستشرقين - عربها بعض أسانذة جامعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- (٨١) تمهيد لتاريخ الفلسفة - مصطفى عبد الرازق .
- (٨٢) ثلاث رسائل - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - الأولى فى الرد على النصارى ط. القاهرة ١٩٢٦ م .
- (٨٣) ثمرات الأوراق - ابن حجة الحموى - على هامش المستطرف فى كل فن مستظرف ط. شرف موسى ١٣٠٢ هـ .
- (٨٤) حضارة لإسلام - جوستاف جرونبيسوم - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .

- (٨٥) حضارة العرب - غوستاف ليبون - ترجمة عادل زعيتر - مكتبة مصر بالفيحالة .
- (٨٦) حضارة مصر والشرق القديم - إبراهيم رزقانه وآخرون - دار مصر للطباعة .
- (٨٧) خطط الشام - محمد كرد على - المطبعة الحديثة - دمشق سنة ١٩٢٥ م .
- (٨٨) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤ م .
- (٨٩) دليل الراغبين في لغة الآراميين - طبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين سنة ١٩٠٠ م .
- (٩٠) سر الفصاحة - ابن سنان الحفاجي - مطبعة محمد علي صبح سنة ١٩٥٣ م .
- (٩١) شرح ديوان الأعشى - الدكتور محمد حسين - المطبعة النموذجية .
- (٩٢) شعراء النصرانية - لويس شيخو - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٨٩٥ م .
- (٩٣) صبح الأعشى - الفلقشندي - الجزء الاول .
- (٩٤) صفة جزيرة العرب - أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني - طبع ليدن سنة ١٨٨٤ م .
- (٩٥) طبقات الأمم - صاعد بن أحمد الأندلسي - ط. محمد مطر .
- (٩٦) عصر المأمون - أحمد فريد الرفاعي - طبع القاهرة ١٩٢٧ م .
- (٩٧) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب - أولبرى - ترجمة الدكتور

- وهيب كامل - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٢ م .
- (٩٨) عيون الأخبار - ابن قتيبة الدينوري - ٣ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م .
- (٩٩) عرض تاريخي لفلسفة العلم - ا. دولف - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م .
- (١٠٠) عيون الأبناء في طبقات الأطباء - ابن أبي أصيبعة - ١ ج ، ٢ ج الطبعة الأولى المطبعة الوهبية .
- (١٠١) فتوح البلدان - البلاذري - ط . شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠٠ م .
- (١٠٢) فجر الإسلام - أحمد أمين - مطبعة الاتحاد ١٩٢٨ م .
- (١٠٣) فن الشعر لأرسطو - الدكتور عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ .
- (١٠٤) في التصوف الإسلامي وقاريخه - رينولد ا. نيكولسون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ م .
- (١٠٥) قصة الأدب في العالم - أحمد أمين وزكي نجيب محمود ١ ج - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٣ م .
- (١٠٦) كتاب الوزراء والكتاب - أبو عبد الله محمد بن هبوس الجهمشيارى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨ م .
- (١٠٧) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - ابن خلدون - ٣ ط م سنة ١٩٥٤ م .

- ١٠٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - ١ ، ٢ ط .
• سنة ١٩٤١ م .
- ١٠٩) مدرسة نصيبين الشهيرة - أدى شير - طبع في المطبعة الكاثوليكية
بيروت ١٩٠٥ .
- ١١٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - الراغب الأصفهاني -
المطبعة الشرقية
- ١١١) محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب - جویدی .
- ١١٢) مختصر كتاب البلدان - ابن الفقيه - طبع ليدن سنة ١٨٨٥ م .
- ١١٣) مروج الذهب - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي -
المطبعة الهيئة المصرية سنة ١٣٤٦ هـ .
- ١١٤) مسالك الأبرار في عمالك الأمصار - ابن فضل الله العمري .
- ١١٥) مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب - أوليري - ترجمة الدكتور
تمام حسان .
- ١١٦) مصر والشرق القديم - ٣ سوربة - الدكتور نجيب ميخائيل -
الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م دار المعارف بمصر .
- ١١٧) مفاتيح العلوم - الخوارزمي - مطبعة الشرق سنة ١٣٤٢ هـ .
- ١١٨) مقدمة في تاريخ الطب - الدكتور التيجاني الماحي - مطبعة مصر -
السودان سنة ١٩٥٩ م .
- ١١٩) موجز تاريخ العالم - هـ . ج . ويلز - ترجمة عبد العزيز قوفيق
جاويد - مطبعة السعادة سنة ١٩٥٨ م .

(١٢٠) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام - الدكتور على سامى النشار -
مطبعة أحمد خيمر سنة ١٩٤٧ .

(١٢١) وفيات الأعيان - ابن خلكان ١٣٠٤ - ٢٠٠ ط. بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

122) Arabia Before Muhammad - O, LEARY.

123) How Greek Science Passed To the Arabs., O'LEARY

124) Islam and Christian Theology vol. 1

j. Windrow sweetman.

فهرس الكتاب

المقدمة (٧ - ١)

الابن الاول

أوليات الحضارة في الهلال الخصيب (٩ - ٣٥)

الفصل الاول :

بيئة الأراميين وحضارتهم (١١ - ٢٩)
الهلال الخصيب : تسميته وسببها (١١) . السومريون : تركر
حضارتهم في المدن (١١ - ١٢) . الاكديون . حضارتهم وتأثيرها
بالسومريين (١٢ - ١٤) . الاموريون : موطنهم (١٤) ، مكانة بابل
في عهدهم (١٤) ، حمورابي ودوره في الحضارة البابلية (١٥ - ١٧) .
الآشوريون : تأثر حضارتهم بحضارة السومريين والبابليين (١٧ - ١٨) .
الكلدانيون : ازدهار العلوم في عهدهم (١٩) .

الأراميون : هجرتهم (٢٠) ، تسميتهم (٢١) ، موطنهم الاول (٢٢) ،
إماراتهم في منطقة ما بين النهرين (٢٣ - ٢٤) . المؤثرات الحضارية في
بيئة الأراميين (٢٤) ، سيادة اللغة الآرامية (٢٥ - ٢٦) ، اندثار
الحضارة الآرامية ، والعوامل التي أدت إلى ذلك (٢٧ - ٢٨) ، دور
المسيحية في القضاء على الكتابات الآرامية (٢٨ - ٢٩) .

الفصل الثاني :

الريان (٣١ - ٣٥)
أصل تسميتهم (٣١ - ٣٤) ، مفهوم التسمية عند مؤرخي العرب
القديماء (٣٥) .

البيروت الثاني

المراكز الثقافية في الشرق القديم (٣٧ - ٨٨)

أولاً : الإسكندرية (٣٩ - ٤٩)

تأسيسها (٣٩) ، مكاتها في عهد البطالسة (٤٠) علناؤها في هذه الفترة ،
وما نقل من كتبهم إلى اللغة العربية (٤١ - ٤٢) ، تدمور الإسكندرية
في العهد الروماني والعوامل التي أدت إليه (٤٣ - ٤٤) ، دور مدرسة
الإسكندرية في التوفيق بين الدين والفلسفة (٤٤ - ٤٥)

مدرسة الإسكندرية في العهد الإسلامي : ضعفها في هذا الوقت
وأسبابه (٤٦ - ٤٧) ، إسهام بعض علانها في حركة الترجمة في العهد
الأموي (٤٨ - ٤٩) .

ثانياً : حران (٥١ - ٥٩)

أهميتها (٥١) ، الصابئة : أصلهم (٥٢) ، مذاهبهم (٥٣ - ٥٥) . علماء حران
(٥٦ - ٥٧) ، أثر الحرانيين في العلوم العربية (٥٧ - ٥٩) .

ثالثاً : جنديسابور (٦١ - ٧٢)

تأسيسها (٦١ - ٦٤) ، لشاطها العلمي في عهد سابور (٦٥) ،
قيام مدرستها في عهد خسرو الأول (٦٦) ، اهتمامها بالعلوم اليونانية
وقائرها بمدرسة الإسكندرية (٦٧ - ٦٨)

اتصال العرب بمدرسة جنديسابور (٦٩) ، التحاق الطلاب العرب بها
قبل الإسلام (٧٠) فتح جنديسابور في خلافة عمر بن الخطاب (٧٠)
ازدهار العلوم اليونانية في ظل الفتح الإسلامي (٧١) ، اتصال علانها
بالعباسيين (٧١ - ٧٢) .

رابعاً : الرما (٧٣ - ٨٠)

ازدهار الحضارة الآرامية في بيئة الرما (٧٣ - ٧٤) ، مظاهر التأثير
باليونان في اللغة السريانية (٧٤ - ٧٥) ، الأديرة وأثرها في الفكر
العربي (٧٥ - ٧٦) ، النشاط الثقافي لمدرسة الرما وصلتها بمدرسة
نصيبين (٧٧) ، وفود أساتذة مدرسة الرما إليها من نصيبين بعد الانشقاق
الفسطوري (٧٨ - ٨٠) .

خامساً : نصيبين (٨١ - ٨٨)

مدرسة نصيبين الأولى والهدف من تأسيسها (٨١ - ٨٢) ، المشرفون
عليها (٨٢) وقوعها في أيدي الفرس وهجرة أساقفتها إلى الرما (٨٢) .
مدرسة نصيبين الثانية : الظروف التي أحاطت بافتتاحها (٨٤) ، معلوما
(٨٥ - ٨٦) ، نظام الدراسة بها واهتمامها باللاهوت المسيحي (٨٦ - ٨٧) ،
ضعف تأثيرها في العرب (٨٨)

الباب الثالث

جهود السريان في الحضارة الإسلامية (٨٩ - ١١٤)

الأسباب التي أدت إلى عدم الاهتمام بتاريخ العرب في الجاهلية
والنتائج التي قرنت على ذلك (٩١) أمر السريان في الجانب الحضاري
من حياة العرب قبل الإسلام (٩٢) .
في دولة الأنباط : استعمال الآرامية في الكتابة (٩٢) اقتباس عرب
الشمال أمجديتهم من الآرامية (٩٣) .
في قدمر : شيوع الآرامية (٩٤) - قيام حضارة عربية متأثرة
بالحضارة الإغريقية (٩٤)

في إمارة الغساسنة :

العوامل التي مهدت للتأثير السرياني (٩٥) اليماقبة ونقل الثقافة اليونانية إلى الغساسنة (٩٦) . انتشار الأديرة والبيع (٩٥) دور الغساسنة في نقل الحضارة السورية إلى الحجاز (٩٦) .

في إمارة الحيرة :

معظم أهل الحيرة سريان فساطرة (٩٧ - ٩٨) ، استعمل اللغة السريانية بين عرب الحيرة وآثاره (٩٨ - ٩٩) ، دور أديرة الحيرة في تقوية الأثر السرياني (٩٩ - ١٠٣) ، دور أهل الحيرة في التمهيد للتأثير الفسطوي بين العرب (١٠٣) ، خروج الإرساليات الفسطورية من الحيرة إلى الجزيرة العربية (١٠٣) ، ارتباط الحيرة بنجران بواسطة طريق تجاري (١٠٣) انتشار المسيحية في نجران (١٠٣ - ١٠٤) ، ارتباط الحيرة بنجران بواسطة طريق تجاري (١٠٣) ، انتشار المسيحية في نجران (١٠٣ - ١٠٤) .

وضوح الطابع المسيحي في بعض جوانب الفكر العربي قبل الإسلام (١٠٥-١٠٧) . الوثنية العربية ، وصلتها بالوثنية اليونانية والسريانية (١٠٨) القلق الديني إزاء تعدد الأصنام (١٠٩ - ١١٠) بعض مظاهر التأثر بالمسيحية في الشعر الجاهلي (١١١ - ١١٢) مناقشة من يزعمون أن الرسول (ص) اقتبس بعض الآراء من اليهودية والمسيحية (١١٢-١١٣) الإسلام يمثل المنهج الديني المتكامل (١١٣ - ١١٤)

الباب الرابع

نشاط السريان في ظل الأمويين (١١٥ - ١٦٤)

الفصل الأول:

الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة

الإسلامية (١١٧ - ١٣٢)

غلبة الطابع العربي على الدولة الأموية (١١٧ - ١١٨) ، استعانة

الأمويين بأهل الثقافات اليونانية والسريانية في بناء دولتهم

• (١١٨ - ١١٩)

قيام النشاط العقلي في البصرة والكوفة بتأثير من الثقافات الوافدة من جنديسابور

والخيرة (١٢٠ - ١٢٢) . أسباب الاهتمام بالدراسات اللغوية (١٢٢ - ١٢٣) .

التأثر بالسريان في الدراسات اللغوية والنحوية (١٢٤ - ١٢٧) مبادئ

الإسلام وأثرها في التشجيع على نقل العلوم الدخيلة (١٢٨) ، انتقال

الخلافة إلى سوريا مكن السريان من الإسهام في بناء الدولة الإسلامية

• (١٢٩ - ١٣١)

الإسلام لم يوقف سير الحياة العقلية في البلاد المفتوحة (١٣١ ، ١٣٢)

الفصل الثاني :

حركة النقل وجهود السريان فيها (١٣٣ - ١٥٢)

الاتجاهات العلمية في عهد الأمويين (١٣٣) الرغبة في الحفاظ على

العقيدة أدى إلى عدم الاشتغال بالفلسفة (١٣٤) ، خالد بن يزيد وتأثيره
بالسريان في دراسة الكيمياء (١٣٥ - ١٣٨)

الترجمة قبل خالد بن يزيد :

الترجمة في عهد الرسول (ص) (١٣٩) توجيه الرسول بعض الصحابة
لتعلم اللغات (١٤٠) اشتغال السريان بالترجمة قبل الإسلام (١٤٠ - ١٤٢)
نشاط السريان العلمي في مصر قبل الفتح (١٤٢) .

النقلة في العصر الأموي :

يحيى النحوى (١٤٣ - ١٤٥) ، غلبة الصبغة اليونانية على الطب العربى
العلى (١٤٦) ابن آثال (١٤٧) ، ثاودون (١٤٨) ، تياذوق (١٤٨ -
١٤٩) ماسرجوية (١٥٠ - ١٥٢)

الفصل الثالث :

موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة . . (١٥٣ - ١٦٤)
العقلية العربية تقبلت الثقافات الأجنبية (١٥٣) العوامل التي ساعدت
العرب على الارتقاء بالثقافة (١٥٣ - ١٥٤) .

جابر بن حيان مثال للعقلية العربية الماضمة المتصكرة (١٥٤ - ١٥٥)
الجدل الدينى بين المسلمين والمسيحيين (١٥٦) هل ثمة تأثير للأبحاث
المسيحية فى علم الفقه (١٥٧)

أثر العوامل اليونانية والمسيحية فى الفرق الإسلامية (١٥٧ - ١٦٢)

الفرق الإسلامية صدرت عن القرآن ، وتأثرها بالمذاهب الأجنبية كان لاحقاً على نشأتها (١٦٢ - ١٦٤) .

الباب الخامس

حركة النقل في العصر العباسي (١٦٥ - ٢١٦)

الفصل الأول :

أسباب الترجمة (١٦٧ - ١٨٢)

حياة الحضارة واستنادها إلى العلم (١٦٧) الاستعانة بأطباء جنديسابور في علاج الخلفاء (١٦٧) نجاح هؤلاء الأطباء في مهامهم وأثره في الاهتمام بالعلوم بعامة (١٧٠) البعثات العلمية في عهد المنصور (١٧٠) تأسيس دار الحكمة في عهد الرشيد (١٧١) ازدهار حركة الترجمة في عهد المأمون (١٧١) ترجمة الكتب الفلسفية لتزود بوسائل الجدل في الدفاع عن الدين (١٧٢ - ١٧٤) .
تطبيق المبادئ الفلسفية في المجالات الدينية لم يكن وليد العصر العباسي (١٧٤) . المسيحية استعانت بالفلسفة في إبطال آراء المجادلين فيها (١٧٥-١٧٧) السريان ونقل الكتب الفلسفية في العصر العباسي (١٧٧) الحركة العلمية لم تتناول الأدب اليوناني (١٧٨)

الأسباب الشخصية في تشجيع الاشتغال بالترجمة (١٧٩-١٨١)
مناقشة رأى القدماء في أسباب الترجمة (١٨١-١٨٢)

الفصل الثاني .

مبادئ الترجمة والعاملون فيها . . . (١٨٣-٢٠٦)

الظواهر الأدبية أطوارها متداخلة (١٨٣)

يوحنا بن البطريق (١٨٤) ، جورجيس بن جبرائيل (١٨٥)

بختيشوع بن جورجيس (١٨٦) ، جبريل بن بختيشوع (١٨٦)

يوحنا بن ماسوية (١٨٦) ، قسطا بن لوقا البعلبكي (١٨٧)

حنين بن إسحق (١٨٨-١٩٦) إسحق بن حنين (١٩٦-١٩٨) ،

ثابت بن قرة (١٩٨-٢٠٢) حبيش بن الحسن الدمشقي (٢٠٢-٢٠٣) ،

مقي بن يونس (٢٠٣-٢٠٤) سنان بن ثابت بن قرة (٢٠٤-٢٠٥) ،

يحيى بن عدي (٢٠٥) أبو علي عيسى بن زرعة (٢٠٦)

الفصل الثالث :

طرق المترجمين في النقل وأساليبهم . . . (٢٠٧-٢١٦)

الترجمة إلى السريانية والعربية في وقت واحد (٢٠٧) الرجوع إلى

الأصول اليونانية في الرياضة (٢٠٨) طرق المترجمين (٢٠٨-٢١١)

أسباب إعادة بعض الترجمات أو تنقيحها (٢١١-٢١٣)

موقف الجاحظ من المترجمين (٢١٣ - ٢١٥).

طواعية اللغة العربية لمقتضيات الترجمة (٢١٥-٢١٦)

الخاتمة (٢١٧ - ٢٢٢)

المراجع (٢٢٤ - ٢٤٥)

رقم الايداع بدار الكتب ٢٣٩٦ / ١٩٧٥

دار البعاج للطباعة
٩ شارع كلية الطب، مكة
١٩٦٩٤٤٠٠٠٠٠

Biblioteca Alexandrina
Calea Victoriei 224, Bucuresti



0301080



To: www.al-mostafa.com